جن وجنون

وجريمة

الرواية

خضير ميرى



2007

الإهداء

إلى الدكتور باهر سامي بطي

ذكرى احتمائنا تحت شجرة يوكالبتوس عراقية قبالة دار الإطباء فـــي مستشفى الرشاد و أنفنا يمتليء برائحة بارود حرب لم تزل حتى هذه اللحظة تبرهن على جنونها الذي لا يحتمل......

الى إسراء خليفة.... صحفية و زوجة..........

الى أرواح من ماتوا من مرضانا....مع اني متأكد أنهم ما زالوا أحياءً

خضير ميري

جن وجنون
وجريمة



الإشراف العام:
محمد الحسينى

المراسلات:
٢١ ش الصناديلى بالجيزة
١٧ ش العطار بالجيزة
تليفون: ٥٧١٢٦١٨
موبايل: ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى:
www.ostazi.org/darnefro
البريد الإلكترونى:
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

اسم الكتاب: جن وجنون وجريمة
الرواية
اسم المؤلف: خضير ميرى

رقم الإيداع: ٧٣٢٥ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: 3 — 23 — 6196 — 977

لوحة الغلاف : الفنانة / رؤيا رؤف
تصميم الغلاف: كامل جرافيك

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

تنويه

(جــن وجــنون وجــريمة) هي بشكل او بأخرامتدادا او مقاربة لذات العوالم المقصــية والغريبة والشاذة التى رحت أتتبعها في أعمالى الأولى في (أيام الجنون والعسل) و(حكايات من الشماعية) وكذلك في سيرتي المقتضبة (رحلتي من التعذيب إلى المصحة العقلية) يضاف إليها (آتيه اوراق منزوعة من كتابة الجنون) ورواية (الرعــب المدلل) ورواية (الشيطان من الخلف) تكون هذه الأعمال مجتمعة مقاربة أدبــية لعوالــم المصحة العقلية ولا أدري ما أذا كان من الأفضل أن تقرأ معا لكي يصار الحكم عليها بشكل أفضل ام العكس هو الادق لا أدري المهم أنها كانت نوعا من الكتابة تدحرجت في داخلي فأخذت نصيبها من الشكل الذي صارت اليه ولم تكن لــي غايات اخرى سوى الكتابة عما عشته وأجبرت عليه وهذا قطعا لا يعد تبريراً من اي نوع لواقع حال هذه الأعمال او تسويغا لها.

ملاحظة:

ظهــرت هــذه الرواية مسلسة في جريدة الزمان العراقية عام ٢٠٠٦ تحت عــنوان الجنون في آذار وباستثناء تغير العنوان لم يتغير شئ في متن العمل لذالك اقتضت هذه الملاحظة.

(الجنون هو الشجاعة كلما كانت الحرية في خطر)

(لاتوجــد حقــائق معقولــة في هذا العالم وأن وجدت فهي أما أن تكون مقبولة أو مرفوضة أما معقولة فلا)

(أن الواقــع خيال لا وجود له داخل المصحة العقلية ولذالك لا أنفي عن شخصيات هذه الرواية أن تكون فوق الخيال وهذا ما يكسبها درجة كبيرة من الواقعية)

القسم الاول

مازال النهار قابلاً للتصديق!!.

في آذار عام ١٩٩١

الأمر لا دهشة فيه وأنا أثني على النزهة اليومية المقررة للدكتور سليمان فــي ذلــك النهار المهدور الموحش حيث يتم لنا سرقة حزمة لا بأس بها من الصــمت المــتواتر الــذي يتكاثر متفرقا بين أشجار اليوكالبتوس المتشابهة و كذلــك أشــجار النخيل المسنّة المصبوغة بالتراب الأحمر. لاشئ يمنع وحسبما هــي الأصــول بــأن ننعــت هذا المكان بالحديقة الخلفية لذلك المنزل الواسع، المــرهوب.. ربما سيسخر منا هذا الجرذ الهارب، مهرولا بين الأثيل المسلول، المصفّر، الراكد وهو يمرن ذيله المرفوع، المتآمر.

يصــغي الدكــتور سليمان إلى عزف غوغائي تصبه موسيقى الهواء على رؤوس الأشــجار و توقــع أنغامهــا بأصابع من عصافير تثرثر.. بينما تكون" شرقية" قد أزاحت خطواتها عن ظل "خزان المياه " في الجهة الخلفية المحاذية لمذخر الأدوية بوجهه الأصفر، الكئيب.

خطواتهــا تبدو مستقلة و هي تواجه نور آذار في ظهيرة النزهة، تمشي وتــترك فضة جلدها تسطع سهوا من دشداشتها العتيقة المليئة بالثقوب تدعك شــالها الأســود المســفوح علــى كتفيها والمذبوح كثيرا من حافاته، تدعكه عشرات المرات بل مئات من الكدمات والسقطات والصفعات واللكمات والرجات الكهربائية... كل هذا لم يطرد ملامح الجمال من وجهها المخبول الفاتن.

شــاهدتها تهبط برغبتها المشبوبة للمجئ الى النزهة وقفزت على ساقية

عابـــرة مازالـــت مياهها تجري قليلا ثم قفزت على ساقية أخرى أقل اتساعا.. حيـــنها شملتها نظرة الدكتور سليمان وسبقته "شرقية" إلى حضن مقعد حديدي كان في الأصل أرجوحة يلهى بها.

الدكـــتور ســـليمان لـــم يكـــن مرتاحا وهو يرمق غرابا أسود كان يبادله الـــنظرات بخبـــث وهـــو يدفع ظهره الأحدب فوق مبنى" نشارة الخشب ". فكر الدكتور سليمان ، كعادته ، بأنه ليس مصادفة أن تجتمع هذه العناصر معا :

١- الغراب الأسود الخبيث.

٢- الجرذ المتآمر العجول.

٣- موسيقى عصافير النزهة الغوغائية المنزعجة بإسراف.

٤- "شـــرقية" التي عرفت جيدا كيف تأخذ حيزها المناسب داخل المقعد الحديدي البائس المعتاد.

٥- صدمة علبة الكبريت الصغيرة المدعوكة من حافاتها.

٦- موت الجامعة.

إلا أن هـــذا لـــم يمـــنع الدكـــتور سليمان من الذهاب للجلوس الى جوار "شرقية" وسماع لهاثها الغريب و شخير قصبتها الهوائية و تشمم رائحة حساء ذلـــك الصـــباح.. إلا ان شرقية لا ترغب بالكلام عادة... ترى لماذا كانت تعاني بإخـــراج شـــئ ما من شق بين صرتي نهديها... و أخيرًا أخرجت علبة كبريت صـــغيرة مطلـــية بالدهـــن مدعوكـــة من طرفيها و سرعان ما دستها في كف الدكتور سليمان و همست له:

- إنها هدية...

- هدية، بمناسبة ماذا؟

- لا أدري و لكنها هدية

- لماذا تهمسين لي بذلك؟ هل لأن الامر خطير؟..

وشعرت " شرقية " بالارتيباك وارتبكت الاشجار هي الأخرى... و لا مانع بالطـبع من اكتشاف ارتباك مماثل بدى واضحا على وجه الدكتور سليمان بعد أن نجـح فـي بعج علبة الكبريت الصغيرة بصعوبة لا يستهان بها... و تردد قليلا قبل أن يلقي بنظرة إلى داخلها، نظرة بعيدة ، ذهبت به كما لو كان شبحا إلـى صـباح يـوم بعيد هو الآخر، ذلك الصباح الذي كان ينبغي على الدكتور سليمان أن يعلن فيه "موت الجامعة" وهذا يعني:

١- علبة الكبريت أولاً

٢- جردل البنزين

٣- ألسـنة النيران تتراقص و الدخان يحتفل بالمشهد الرهيب المسجون داخل غرفة الدرس...

٤- الفلسفة تضيق ذرعاً بالحياة ام الحياة تضيق ذرعًا بالفلسفة؟!!..

إلا أن علـبة الكبريـت هذه التي بين يدي الآن عبارة عن علبة خفيفة ، بـاردة ولـم تكـن علبة ثقيلة كتلك العلبة الهائلة التي قفزت بين كفي وحددت مصيري الأبدي...

- لا بأس أنه شئ رائع

قال الدكتور سليمان:

- خنفساء

قالت شرقية:

- نعم خنفساء

قال الدكتور سليمان

علبة الكبريت تحوي على خنفساء سوداء ، صغيرة الحجم ، مدببة الظهر ورائعــة. "شرقية " ذهبت لتبول خلف الدكتور سليمان ، بينما شعر هذا الأخير برغــبة غامضـــة لأن يطــبع قبلة حقيقية على ظهر الخنفساء ، إلا أن الغراب الخبيــث طــار مسرعا خلف زميل له، لم يكن الطعم الحامز الذي صَمّغ شفتي الدكــتور ســليمان طعمـــا عابرا بل هو ذلك الطعم الوحيد الذي حفر نهرا في شــفتيه وصــيره مجــنونا بجــدارة... ألا أن موســيقى الهواء أصبحت أكثر غوغائــية.. و أنقلب هواء آذار هواء حامضا مشبعا بروائح الدود... وشاعت الظهــيرة أن تتوج حبا جديدا لا مثيل له، حب و خنفساء... لم تعد شرقية الى مقعدهـــا الحديدي مرة أخرى و لوحت بشالها الأسود.. و عجلت تحرك أقدامها مبــتعدة. بيــنما أعــاد الدكتور سليمان الخنفساء السوداء الى علبة الكبريت.. وهـــو يذكــر نفسه بخنفساء أكبر شأنا من خنفسائه هذه.. خنفساء أخرى لها طعم مشابه ألا أنه طعم غريب و صاح الغراب الأسود عاليا.

وفزع الجرذ وأخفى ذيله بين ساقيه.

عــندها أخفى الدكتور سليمان علبة الكبريت في جيب بنطاله الأيسر وكان سعيدا حتما كما أرى

أو كما رأيت..........

سلام ميت

... تـرتفع الطاسـات البلاستيكية الفارغة من الحساء ، ترتفع عاليا في الهـواء ثـم ترتطم لترطن على القضبان الحديدية التي تتكثر داخل الردهة في حـانوت الشـاي أو فـي غـرفة الـتلفاز الخالية من التلفاز. طاسات مختلفة الألـوان.. حمراء غالبا أو صفراء.. ترتفع ثم ترتطم وتصنع دويا عشوائيا الا أن صـوتها غالـبا ما يتوحد عند ساعة ما بعد الظهيرة.. ليكون أشبه بضحكة موسـيقية مـتقطعة يطلقهـا " حـيوان المصحة ".. أعرفه جيدا ذلك الحيوان الضـاحك الـذي أمتطاه الدكتور سليمان الآن... ما أن دخل من بوابة الردهة الداخلـية، سـرعان ما التقط طاسة بلاستيكية وأعتمرها على شكل قبعة لائقة بمـدرس جامعـي أوشـك على نيل شرف التقاعد من مهنة التدريس " لمادة الفلسـفة والعلوم الأنسانية ".. دارت به الجدران والقضبان والأبواب الحديدية المفـتوحة حتى منتصفها.. إنه يسمع ضحكة الحيوان ويدور على نفسه مثبتاً قبعـته البلاسـتيكية بـيده اليسرى إلا أن الطاسات البلاستيكية كادت أن تقتلع القضـبان ، تلـك القضـبان الحديدية السوداء اللون والتي تفرخ على جدران أكـتافها الجانبية أحياناً أو في مؤخرة الردهة عند الحمّامَات الخلفية طبعاً وفي الكواة الصغيرة اللابدة في الأعالي. يخطأ العد غالبًا هذا النوع من القضبان إلا أنها لا تُنسى وأزداد الضجيج أتساعًا وشعرَ

الدكتور سليمان بالدوار والاثارة معًا عندما دخلَ المراقبُ "عفتان" الردهة وفـتح البوابة الحديدية بقوة.. وصرخ بصوت لا يكاد يُفهم منه شيئًا... سوى أن علـى حـيوان المصـحة أن يصـمت.. فصـمت الحيوان وكفت الطاسات

البلاستيكية عن الثرثرة.. وانسحب الدكتور سليمان بهدوء.. مردداً لنفسه

– أنـــا الدكتور سليمان.. أشارك بطيبة خاطر في هذه الأمسية الفريدة من نوعها وآخذ نصيبي من رقصة الطاساتِ البلاستيكيةِ الخاليةِ من الحساء.. نعم آخـــذ نصـــيبي كاملاً من هذه اللوثة ، من هذا النوع من الضحكٰ الجاد الذي لم أقع عليه في المناهج الدراسية...

شـــعر بحكة الخنفساء داخل علبتها ودبيبها اليائس داخل علبة الكبريت ثم داخل جيب بنطاله.. وسرعان ما دخل الدكتور سليمان غرفته الخاصة.. وسمع صـــوت المراقـــب "عفتان" وهو يطلقُ السبابُ وينوعُ بالشتائم.. وأخرج علبة الكبريـــت ووضـــعها على طاولة القراءة... وشعر برغبة في سيجارة.. إلا أنه تذكر، لا يعرف لماذا، حكمة فلسفية قديمة تقول:

ــ ما أسعد الإنسان الذي لا تأريخ له.

غرفة الجنيات

ـ إنني أسمع الماصول في غرفة الجنيات

ـ إنني أسمع الماصول ، أسمع الماصول

ـ إنني أنزع خيوط الجلد من عظامي

ـ إنني أسمع الماصول.. وأهذي

سمعت " شرقية " في طيات ذهنها وفي تلافيف ذاكرتها كلامًا مشابهًا لهذا الكـلام وحكت مفرق شعرها.. أنفتح ضوءًا صناعيًا ذليلاً في غرفتها الجانبية المشـتركة مـع أخـريات... غرفتها التي تسميها فاتن غرفة الجنيات وتطلق عليها " زينب " اسم غرفة " العوانس الطاهرات " إلا أن " شرقية " وحدها هي مـن تملك حق حيازة النافذة الجانبية لغرفة الجنيات وتستطيع ضمن امتيازات هـذا المركـز المرموق أن تسحبَ ببصرها ذلك اللسان الترابي الممدود خارج الـنافذة والـذي يسمحُ لشجيرات يوكالبتوس كسيحة ومتفرقة أن تنتصبَ ليلاً يربـيها ضـوءًا صـناعيًا شـاحبًا ليصنعَ منها حيوانات بدائية تتكثرُ رؤوسها وتتشـابكُ ملامحهـا وتـتقاطعُ مخالبها وأسنانها الناتئة وتتوالدُ ذئابًا ونعاجًا وثعالبًا ونوارسًا وأفاعٍ وجنودًا وفلاحين وثيران ونيران وغيومًا شاهقةً وجبالاً وسـهولاً وقلاعًـا مهدمـة وأمطـارًا ومضلاتٍ مخربةً وفئرانًا صغيرة عمياء ومـتحركة وحشـراتٍ هلاميةً وعيونًا وأفواهَ ولحىً وشوارب ومدنًا وناطحات سـحابٍ وشموسًـا صـغيرة وأخرى مقمرةً وغانياتٍ راقصاتٍ وطبولاً وغجرًا ومرائيـن ومشـيمات وأمعـاء حـيوانا ت بقـريةٍ وخروفيةٍ وأثداء مسفوحة وخصـيان آدمـية وعصافير ويطير عصفور من الضوء ليحط وهو يفور على شـفتي شـرقية التي أدارت رأسها عن نافذتها السحرية وأبصرت فاتن تقترب

مـــنها، وهي تمشي حذرة، وهي تتنفسُ بصوتٍ مسموعٍ تلسعها غريزة عمياء شديدة الوطئة وفاحت على " شرقية " وطلبت منها تكرار ذلك الشئ...

خلف الكوميدين الحديدي طبعاً ، وزيادة في الأمان جذبت الستارة الرمادية المهلهلة وشبكت حافاتها بمسمار كريه لا أحد غير فاتن يعرف موضعه جيداً..

ذلك ان " شرقية " غمزت بعينها باتجاه الضوء الصناعي...

وسارعت فاتن بتلبية النداء...

أطفأت فاتن الضوء الأعور ، الوحيد ، ليصبح الليل كله ليلاً...

تم إقصاء قطعة أو قطعتين من الملابس المصبوغة بالوسخ......

دعكت " فاتن " جلد المطاط وتشممت بنهم ذلك الاسوداد الدائري المنفوخ عـــند حافاته الرخوة وأمتصت طعم ذلك الانبعاج الدبوسي وقلصت لسانها عليه وشعرت "شرقية " بأنها تحلب خلف الكوميدين الحديدي...

تســـمع نفسها تلهث وتفرخ القطط المخنوقة في حنجرتها... وهي تعرف مقدار ضعفها وانسحاقها ولا أهميتها على الأطلاق.

– أنني أسمع الماصول

قالت فاتن:

فكرت شرقية: بأني مبذولة تماماً وبائسة، فأن أي خنفساء سأدعها تتمرغ فـــي طـــيات لحمـــي كما أن أي كلب وضيع سأجعله يلعق فيّ ذلك الشئ الذي يبتســـم دائماً مجروحاً بين ساقي ولا تكاد شفتيه أن تطبق على بعضيهما ابداً، ذلـــك اللســـان القـــذر، المدعوك والمُستفز دائماً ولكن المرغوب الى درجة لا تصدق....

– إنني أسمع الماصول وأهذي...و أهذي

كما لو أننا نحيا

كما لو أن هذه الخلايا تحصى

– مـــاهو نفع تلك الزهور الصناعية الملونة التي ما زلت أربيها في دورق زجاجـــي؟... ذاك أنني لم أنتبه إليها ولمدى عدم نفعها وهي موجودة و تعيش معي طوال هذه المدة.

هكــذا فكّـــرَ الدكـــتور سليمان وهو يخرجُ الخنفساء من علبة الكبريت ويمســـكها بعناية في كفه الأيسر.. بينما يذهبُ بكفه الأيمنَ بالزهور الصناعية الملونـــة إلى سلة المهملات... وهكذا وجدَ الدكتورُ سليمان، اخيرًا، للخنفساء مكانًا رائعًا وآمنًا ومريحًا وقد دُهشَ الدكتور سليمان بمنظرِ خنفسائه الجديد... لاأحــدُ ينكرُ أن موقعها هناك داخل الدورق الزجاجي الموضوع فوقَ الكوميدين الحديـــدي أكسبها مكانة أثرية مرموقة ، بالطبع إن موضع الكوميدين الحديدي كونـــه فـــي مواجهة الباب مباشرة يجعلُ الخنفساء هي أولُ الأشياءِ التي سيقعُ البصـــر عليها وبذلك أصبحت مؤهلة دفعة واحدة لأن تكون منظرًا مركزيًا من ذلك النوع الرائع الذي نقعُ عليه في أرقى المتاحف الأثرية... إلا أن الخنفساء وهي تزحف داخل الدورق الزجاجي لم تكن تشبه تمامًا الخنفساء الطبيعية التي كانت مزروعة داخل علبة الكبريت... أذ إنها تنكرت لنفسها كثيرًا وكبرَ حجمها وبانـــت شعيراتُ جلدها أكثر ، صحيح أن شخصيتها أصبحت مميزة... ألا أنها بالطـــبع بـــدت وكأنها لن تكون ممكنة الرؤية بصورةٍ تامةٍ أو مقنعة إلا عندما يـــتراجعُ الناظرَ عدة خطوات الى الخلف. وهذا ما فعلهُ الدكتور سليمان بالفعل

وتــراجعَ خطــوات الى الخلف وأخذَ يتأمل خنفسائه الرائعة... الا أنه وجدَ بعد قلــيل، أن هــناك تناسقًا جماليًا لاشك فيه يمكن قراءة ابعاده بالتكامل التلقائي والتناســق الموحــي بيــن منظر أسفل الكوميدين الحديدي حيث تجلس الكتب متكئة على بعضها البعض ومنظر السرير المغلف بالأبيض والذي يأكل خاصرة الجــدار.. ذلك الذي عُلقت عليه صور متفرقة لمناظر طبيعية لم تعدْ تعني أكثر مــن أشــجارٍ ثابتةٍ في موضعها وهناك طاحونةُ هواء توقفت عن العمل بأمرِ المُصــورِ واســتحالت إلى ذكرى قديمة... بالطبع هناك حسٌ رومانسي في كلِ هذا التكوين... مضافًا أليه الخنفساء كعامل رئيسي في إحداث التأثير المطلوب للرومانسية المفقودة في هذا العالم.

إلا أن الضــوء الداخلَ من خلالِ أصابع قضبان النافذة الجانبية الواسعة نســبيًا والتي لم تستطيع الستارة الرمادية العتيقة أن تظللها كفاية، كانت تترك انعكاســاً مزعجًا للضوء على وجه الدورق الزجاجي وتحوله إلى مرآة أو شبه مــرآة تعكس منظراً مؤذياً للعين... مما جعلَ الخنفساء تفقد طبيعيتها وبالتالي تعكــس كما لو أنها لقطة عابرة في مشهد صناعي من ذلك النوع الذي نشاهده كثــيرًا فــي بــرامج علم الحشرات. وسيكون الدكتور سليمان ممتنًا جدًا لو تمَّ أغــلاق النافذة كليًا أو توسيع الجدار الخارجي لغرفته الخاصة... أو على الأقل دفــع دكــة الــباب إلى الخارج قليلاً والحصول بذلك على مترين أو ثلاثة إلى الخلــف يعطــي فرصــة أكبر للسيطرة على عناصرالتكامل الجمالي المطلوب لمشــاهدة خنفساء حقيقية داخل دورق زجاجي موضوع على كوميدين حديدي مرتفع حاوٍ من أسفله على كتب ثقافية وأدبية وفكرية مهمة.

وكمــا هــو حال أكثر الأمور اعتيادية في هذا العالم فأن عدد الخطوات

التـــي طمـــح فيها الدكتور سليمان الى الخلف قاطعها المراقب " عفتان " الذي دخـــل كعادته دونما استئذان ووقف مدهوشًا تمامًا خلف الدكتور سليمان وهو يـــتطلعُ حـــتمًا إلى الخنفساء المزروعة داخل الدورق الزجاجي ولا أدعي بأن هناك كلام قد عبّرَ عن نفسه في هذا المشهد.

المراقـــب " عفـــتان " كاد يصاب بنوبة جنون مفاجئة وهو يسحبُ الثقةَ كاملـــة دون أن يتركَ لأحد حق أستخدام " الفيتو " وهو يفكرُ بالدكتور سليمان المدرس الجامعي لمادة الفلسفة والعلوم الإنسانية أقول لقد سحب الثقة بصورة مطلقة عن إمكانية الشفاء من الجنون في هذا العالم... وللحضات ألتبس عليه الأمر ما إذا كان هو الآخر : عاقلاً أم مجنونًا؟

لـــم يـــبال الدكتورُ سليمان عندما تنبه إلى المراقب " عفتان " يقف خلفهُ بالـــرغم من علامات الدهشة والاستغراب البادية غلى وجه الأسمر ذو الملامح الريفية وأنفه القاسي الذي تخرج من منخريه شعيرات شاربه الكث المسترسل على جانبي حلقه بفوضوية...

إلا أن " عفتان " رمقه بنظرة حذرة لا تخلو من خوف وجبن ثم سرعان مـــا خرج سريعاً دون أن ينسى أن يلتفت التفاتة أخيرة ليتأكد من صحة وجود الخنفساء هناك داخل دورقها الزجاجي...

وهزّ الدكتور سليمان كتفيه وعبر عن استغرابه هو الآخر وذهب بأتجاه الـــدورق الزجاجي ووضع أنفه على زجاجه البارد المصقول وهمس للخنفساء قائلاً

لنضحك قليلاً على الأحياء

لكي لا يُسخر مّنا نحن الموتى

قليلاً من المنطق في دار الأطباء

رفعَ الطبيبُ "أرسلان" ذراعه عاليًا ثم واصلَ كلامه قائلاً:

– جبــنة مــع العســل ، إبريق من الشاي يغلي فوق سماور أنيق ، خبز معجــون بلحمة مفرومة... وزوجتي " يانا " تواصل أداء تمارين " اليوغا ".. هكــذا أصــبحت هذه العناصر أشباحًا، يا صديقي، وأخيرًا أتيتُ الى هنا لأرفع الكلفة مع القمل...

أســتطيع أن أصغي الى صوتِ الطبيب "أرسلان" بعناية، هو رجل أنيق بلا شــك يقضـــي معظم وقته الطويل الزائد عن حده في "دار الأطباء" يمدد ساقيه علـــى كرسي مقابل.. كما أن لابدَّ للدكتور "ماجد" أن يشاطره الجلسة.. ويحاول هــذا الأخــير أن يدافعَ عن وضع المصحة كما لو أنه مسؤولاً عنها مسؤولية مطلقـــة، يقلـــل مـــن المبالغة بأعداد القمل وأصنافها اللامحدودة.. ويجتهد في إعطاء أهمية لاتنسى ل"فرويد" و"يونغ" و"آدلر"..

بالـــرغمِ مـــن أن " أرســـلان " لا يقرأ كثيرًا.. إلا إنه دائم التفقد للسجائر المحســـوبة جـــيدًا... ويطلـــب الكعك مع الشاي... الا أنه لم يكن مرتاحاً هذا الصـــباح وخاصـــةً بعـــد أن طردَ لمرات عديدة ذبابة وقحة تطاولت على أنفه كثـــيرًا... وناولـــه " ماجد " ملفًا طبيًا مغلف بفايل عتيق... وأجابه " أرسلان " متذمرًا

ــ والآن حكايةُ أخرى اسمها الدكتور سليمان

ثـــم صـــمت قلـــيلاً.... وأخـــذ يستمع إلى ضجةِ المرضى قادمة من بعيد ولايـــدري لمـــاذا تخيل كما لو أنه يسمع هذه الضوضاء وهو يضع أذنه داخل

علبة من الصفيح...

ــ اسمعني، لقد سألته الباحثة الاجتماعية...

قال "ماجد"

قاطعــه "أرســلان" ومــد أصبعًا أبيضًا ، ضوئيًا، وأشار إلى فكرةٍ طارئة تحركــت داخل ذهنه مفادها أن يكون جنون الدكتور سليمان جنونًا مصطنعًا... وحبس الدخان قليلاً داخل منخريه... عندها قال له الدكتور ماجد

ــ نعم... اقرأ هنا تحت هذا الخط

--------------، أنا..... تفاحتان...... بيد واحدة......

ــ لامزاجَ عندي اقرأ أنت

وقــرأ ماجد... وهو يفك بصعوبةٍ خط الباحثة الاجتماعية التي لا شك أنها تكون مضطربة عادةً في مثل هذه المقابلات

"تفاحة واحدة أم تفاحتان"؟

سألت الدكتور سليمان

ضحك المريض ثم أجاف

ـــــ تقصد ثم أجاب

قاطعه " أرسلان "

ـــــ نعم ، ثم أجاب

ماذا سيكون مصير البشرية لو سألنا أسئلةً عبقرية كهذه لافلاطون أو "أرســطو" ومــاذا ســيكون شكل العالم لو حدث لآنشتين أن كان نزيلاً عــندكم فــي هــذا المستشفى قطعاً سوف يخلع رأسه ويعيره الى أقرب حاوية للنفايات فهذا أكثر منطقية أليس كذلك؟

ثم أضاف المريض سليمان قائلاً

—— إنني بالطبع أرفض الإجابة

وفكر " أرسلان " بصوت عال ليقول

– إنه على حقٍ تمامًا

وأجابه الدكتور " ماجد "

– لاأدري أين قرأت ذات مرة؟ عبارة تقول

"الجنون دائمًا على حق، العقل وحده يخطأ أو يصيب".

ظهيرة يربوع

كأي يربوع معاصر يجلسُ مجازًا على سرجٍ من حديدٍ هكذا يبدو المراقب عفـــتان وهـــو يمتطي ظهر دراجته الهوائية ولكي لا نسارع بتصديق ما ذهبنا إلـــيه مـــن أمـــر دراجـــته الهوائية نقول: أنها مجرد جثة حديدية تمردت على الانقـــراض بالـــرغم من أن عجلاتها لم تعد تتنفس الهواء والقرقعة هي كل ما لديها من كلامٍ على الأسفلت...

إن "عفـــتان" هذا رجل ذكوري بكل معنى الكلمة ولن تفلت من أنفه رائحة "شـــرقية" وهـــاهو يبصرها تمشي من بعيد وقد ظللت الأشجار جذعها الطويل الناعس... كما لو كان حدثًا سحريًا ترويه بأهتمام بالغ شهرزاد حكاياتنا. طار عفـــتان علـــى عجـــلات بســـاطه الحديدي وحط قبال "شرقية" إلاّ أن كمية من الضـــجيج لا يســـتهان بهـــا أشبعت سماء الأسفلت قرقعة وصخبًا أثارت فزع "شـــرقية" وجعلـــت العصـــافير تهـــرب وتغير اتجاهاتها، أرتجفت الأشجار هي الأخرى ولفظ الصمت آخرأنفاسه المعدودة.

وشعرت "شرقية" بأزيز حاد يجتاحُ جلدها ويسقط قلبها في قدميها، عندها نـــزلَ "عفـــتان" من صهوة دراجته.. وسرقَ كلَ الأمام المتاح لشرقية وصوب عفـــتان نظرة مركزّة الى شرقية نظرة تقطر من شفتيه بينما جمدت شرقية في مكانها كما لو كانت تقف على ميزان وأرسل عفتان نظره السائل صوب صرتي نهديهـــا وأخـــذ يشربُ البياض الناصع المفطوم خلف ثقوب دشداشتها المائعة المتهدلة على كتفيها وحار بأمر ذلك الانبساط المشدود الى أسفل وسط بطنها، وتلـــك الاســـتدارة المقصـــودة للفخذين المنفرجين قليلاً وكاد يلامس ما وراء

قماشة صدرها... لولا أن ندت عنها صرفة هامسة أن:لا

تراجعــت إلى الخلف قليلاً بحركةِ غزالة محاصرة.. وأطلقت ساقيها هاربة بيــن الأشـــجار.. بقى عفتان مسمرًا في مكانه يشتمُ حظهُ العاثر ب(أم حسان) المراقــبة الأقــدم فـــي ردهـــة النساء وتذكر الجلد اليابس الملصق على جثة مُتكرّشـــة مغمسة برائحة القرنفل وتلك الكتلة الهلامية التي ركبت أسفل الظهر كمـــا لوكانـــت حدبة جمل فاطس وقال في نفسه : ومع ذلك فهي تربي برميل بطنها، يا للكارثة...

وحيـــن عدل من وضع دراجته الهوائية شعر بخوف شديد في داخله وهو يسمع صوتًا غريبًا يهتف به..

- أيها الخاطئ.. ماذا تفعل بذلك الذي لابد أنه يكبر الآن داخل البرميل؟

وعـــادت القرقعة إلى الظهور مرة أخرى.. وطارَغراب أسود ذاهب لتفقد زمـــيله بيـــنما نجحت "شرقية" في الوصول الى "مذخر الأدوية" وكان عليها أن تبطـــئ سيرها قليلاً وتدع قلبها الصغير يسترد هدوءه... ولملمت شالَها الأسود الـــذي كـــاد ينفلـــت عن كتفيها وتنفست رائحة تراب مبلل.. ثم رائحة احتراق عشب ، ثم رائحة يود قادمة من ردهة النساء...

المـــوتُ انسانُ... كيف لا؟ و نحن نموتُ مرةً واحدةً بينما الموتُ لا يحيى إلاّ فينا وبنا ومن خلالنا...............دائمًا ومنذ زمان لا ذاكرة لديه ولا حياة تفيض عن الموت لتتذكر،

هي أيضًا كما لو كانت غصنًا خارجًا سهوًا من غفلة النار

تحسبني طائرًا كما لو كنت غرابًا يرغب بكل البياض الذي جفف عليها

إنهـــا بحاجـــة ماســـة أليّ أنا الدكتور سليمان لكي تطلق زوائدها اللحمية فـــيأخذُ كـــلُ عضـــو فـــي جسدها المحروم حقه الطبيعي في الارتجاف والتفتح برغـــبة لآخـــر، أشد ما يلفت عنايتي بها هو ذلك الجسد الممشوق الذي يبدو وكأنـــه ســـوط أصله ضفيرة... سوطًا ناعسًا مفتونًا باللسعة... وهو يصيرني ذكرى عابرة خارج ساقي حيث يصبح الضعف احتفالاً واللهاث أنتظارًا والقذارة عطـــرًا باهظ الثمن قرب لهفة العنب في صدرها الذي يفور... وينتفض... إلا أنني في واقع الحال شذرة طائشة على متن جريمة ، إنكسار غصن في شجرة عيد الميلاد مجرد حصان زجاجي في غرفة الضيوف.. ولاضيف آخر، سواها، هـــي شرقية في باحة النزهة ، شاهدها تمشي بعجالة وفكر بها.. عجالة تمشي إلـــيّ أنا (العطالة) وأنتبه المقعد الحديدي الى نفسه فوجد نفسه مسرورًا وهو يضـــم جسد شرقية، الساخن،العنيد، المرتفع قليلاً من الاسفل. وجلس الدكتور سليمان إلى جوارها وأخرج سيجارة ومصها كما لو كانت قطعة من الحلوى... نفث الدخان حوله واختنقت شرقية وسعلت سعالاً جافًا وأدمعت عينيها.. جّرب الدكـــتور سليمان أن يضع ذراعيه خلفها ومسد شعرها الخشن ولكن المتناسق

تلقائــيًا... رغبت شرقية برائحة جسده وأنفاسه الحارة القريبة،المفعمة بالتبغ الرخــيص، وتابعت بنظرة جانبية من عينها ملامح وجهه القاسي مع استقامة أنفـــه المميزة لرجال الفكر.. رحلت به بعيدًا ، هناك قرب الكوميدين الحديدي ، فـــي ســـاعة مخنوقة من الليل ونظرت إلى نفسها مسفوحة ومنتهكة بجدية.. مصلوبة تحت جسد لاانتفاخات فيه.. وستكون لحظتها معاقة حقًا من الداخل.. وجربت أن تدني منه فخذها أكثروتلصقه بفخذه الأيسر وتعرفت على تمثال من حجـــر يجلـــس إلى جانبها.. واستطاع ذلك التمثال أن ينتصبَ واقفًا و أخذ ذلك التمـــثال يمشـــي ويبـــتعد عنها كما لو كان مقررًا له أن يفعل ذلك بفعل مؤلف خبيـــث لا عواطـــف عنده.. تذكرت التماثيل الجبسية البيضاء التي لم تحفل بها هي الأخرى في الحديقة العامة التي تجرأت ودخلتها ذات ظهيرة... وهي تشعر بالمهانة من عملها التافه الوضيع ، كانت أعصابها متوترة تمامًا وجسدها دبق ومخـــرّبة هـــي ملابســـها الداخلية. ظهيرة ساخنة.. خرجت فيها ، كالمعتاد ، بصـــحبة آخريـــن ، وكـــان علـــيها أن تفعل كل ما يطلب منها ، هكذا دربتها (مياســـة) زوجة أبيها ، دربتها على كل شئ بمهارة ، منذ أن كانت في الرابعة عشـــر مـــن عمـــرها وأصبح الأب كعادة من كانوا مثل صنفه، سكيرًا ومراهنًا خاسرًا بلاشك ــ على خيول غير محظوظة ــ الا أن "مياسة" رسمت له حياته ولـــم تبخل عليه بالنقود اللازمة.. ولم تجعل من "شرقية" أكثر من فتاة عارية ومكشـــوفة ومطلوبـــة مـــن الجميع... أنها تكاد أن تكون دائمة الاستعمال. أن "مياســـة" تدفـــع بشـــرقية دائمـــا... إلى آخرين... إلا إن آخرين تلك الظهيرة الســـاخنة عذبوهـــا كثيرًا،أنها تكره الفعل الثنائي.. تكره أن يلمس جسدها أكثر مـــن واحد، قد يصبح الأمر ممكنًا مع واحد.. بشرط أن تكون هي المبادرة.. وأ

لاتخلـــع ملابســـها كاملة أنها تفضل أن تكون مكشوفة جزئياً ولاتحب أن ترى ذلك الفعل مكشوفاً أمامها تماماً.. وأن المنظر سيكون كريهًا عندما ترى الرجل عاريًا منقادًا الى امتداد حلزوني غريب.. تسمع لهاث الرجل وحركاته الخرقاء إلا إنهـــا لاترغب بالنظر إلى أسفل... تغمض عينها وتكز على أسنانها وتجعل أعضـــائها الداخلـــية تعمـــل بتلقائـــية... وتسمح لفم الرجل أن يلعق ويلحس ويمـــتص... ويتنهد طويلاً..مثل كلب عجول إلا إن ما فعلوه بها ، ذلك النهار، كـــان كثـــيرًا علـــيها. لقد اعتدوا عليها جميعًا، ومارسوا حفلة بدائية غوغائية لارحمـــة فـــيها وعـــندما نجحت بالهرب أخيرًا، شعرت بأن جسدها كان مخدرًا ونهديها متورمين ومزرقين ،أسفلها مجروح كما لو أن ملحاً دفن فيه... دخلت إلـــى الحديقـــة العامـــة وخلعت ملابسها أمام أنظار الجميع ثم دخلت للاغتسال بـــنافورة عمومـــية... محاطة بالتماثيل، والعيون المدهوشة الشرهة.. صرخت أفـــواه، وقذفـــت حجارة، حدث هرج ومرج لا مثيل لهُ وتصادمت السيارات في الساحة العامة وتناثر زجاجها... حينها أخبرتها النافورة بكل شئ... وتلقفتها الأيـــادي، العابثة المجنونة لتحط هنا في هذا المكان القصي ولم يكن غريبًا أن يفـــر تمـــثالاً آخر كان يجلس الى جانبها، يمر عنها ويفارق لهفتها المشروعة بـــأن تكـــون كائـــناً حيًا يمارس حياته كما لو أنها لا تثير أعتراضًا من أحد... ذهـــب ذلـــك التمـــثال الآخـــر بعـــيداً.. الا أنه لم يلتفت مطلقاً حتى ولو لمرة واحدة....كان تمثالا وحيدا لااكتراث لديه....................

الحلم الكحولي

دونمـــا تـــردد أستطيع أن أحزر بشطارة الأدلاء في الصحراء أين يجلس المراقـــب عفـــتان في هذه الساعة المتأخرة من الليل، إنه هناك خلف " ثلاجة الموتـــى " يقـــتعد حصـــيرة من الخوص تأز تحت عجيزته الصلبة وهو يصنع قوسًـــا بظهـــره المنحنـــي علـــى قنينة الخمرة المخبئة في حقيبة جلدية أعتاد إلحاقها بدراجته الهوائية.. ولايدع كأسه المصنوع من البلاستيك أن يضيع من كفـــه في ذلك الظلام المتكثر المناسب للكلاب المتجولة في هذا الركن الغامض مـــن االوحشـــة... يشـــرب ويفكر ويفكر ويشرب و يشرب و يفكر و يفكر و يشـــرب.... يفكـــر بأم حّسان.. هذا هو الوقت المناسب لتقليب الرأي بمصيبة وشـــيكة الحـــدوث دونما شك... إن طعم الخمرة أقل مرارة من روحه الأسيانة ونفســـه المتعـــبة الجـــزعة. هـــناك ظل آخر، مضاف لتكوين الظلام والخمرة والكـــلاب الســـائبة، الضاجة بلا شك، إنه يتدبر أمره، وينحني على قنينته أكثر ويســـرد لنفســـه حكايـــات مماثلة عن أنتفاخات بطون حدثت هنا وهناك.. ثم إســـقاطات لا حصـــر لها، حالات وأد بحسن التصرف.. وابتسم "عفتان" لفكرة كونـــه (أباً).. وساعدته الخمرة على الضحك والأرتخاء قليلاً إلى درجة أنه مد ســـاقيه أمامه وسمع عظام ظهره تطقطق.. وحط على منخريه طيف " شرقية " وتذكر البياض الذي لسع أنفه، تذكر التكور الظاهر للعيان ولمسه انبساط ذليل أسفل البطن المصقولة جيدًا ولكن الهاربة، المهتزة، المذعورة.. شاهدها مرات أخـــرى قـــرب "القازان" شاهدها تنحني على طاستها البلاستيكية...إلى جانبها تقف "فاتن" بوجهها الذكوري وجسدها الأملس الفتي ونظراتها السوداء، إلا أن

صــوت إطلاقــات ناريــة بعيدة، قلصت الحلم في رأسه وجعلت الكلاب تزداد أحــتجاجًا... وركــل الحقيــبة الجلدية المكوّمة أمامه وذهبت به الخمرة بعيداً، يمشـــي بيـــن الأشـــجار وهويشتم نفسه وحظه العاثر في كل شئ. شعر بطبقة حامضية تغلف بلعومه، صرخ عالياً وسمع اصطفاق أجنحة في قمم الأشجار.. الــدّوار يشق صدغيه ويشتت خواطره ولو أنه تعثر أكثر من مرة وكاد يسقط أرضـــاً، تمسك بمقعد حديدي كان في الأصل أرجوحة عمومية يلهى بها، كور جســده داخــل المقعــد.. ونام كطفل صغير هارب داخل غابة واسعة بصحبة الأشـــجار والكـــلاب والحشـــرات والحجارة... ولم يكن حلمه الكحولي يسمح باحلام اخرى سواه.

الساخن والبارد

قالت له الخنفساء : تشجعْ

وهــذا يعني صباحًا آخر لابدَّ أن نحلبه ونحار بخبزه وزاده وزوادته، نهارٌ آخر هو بالنسبة للدكتور سليمان = صفر.

الصــفر الأول الذي وقع عليه كان الحمّامات الخلفية حين اكتشف أن ذلك الشئ قد ذبل وانكمش ولم تعد له ما يكفي من الذاكرة وبذلك أستحال إلى زائدة لحمــية محشــورة سهواً بين إطار الفخذين... وفكر بولده (داود) وهو يغرف بكفــه حفــنة مــن الماء الشحيح المتبقي في حوض الموزائيك وأجاب (جبار) الذي اصطف في المرحاض المجاور

– نعم إن لدي ولد تافه أسمه (داود)

وأنحــرف "جــبار" بجســده قليلاً ليمد بوزه خارج الجدار المضلع الذي يحبس مرحاض الدكتور سليمان وداهمته شهوة الكلام فقال:

– لماذا لم يعد داود ابنك الوحيد يأتي لزيارتك؟

فاجتاحــت الدكــتور سليمان نوبة من غضب شديد وصرخ بصوت عال نافضًا الماء من تحته

– ألم أخبرك من قبل أن لا ولد لي

حتى ولو كان اسمه داود.

وحــزّم رأســه بمنشــفة متيبسة وانطلق قاصدًا غرفته بسرعة، نظر إلى خنفســائه الخاملــة وتفحصها بعجالة وعرف بأنه لن ينال شيئًا من فطور هذا الصــباح وقــد ذهــب الحســاء إلــى جهنم.. ربما كان سمع صوت الطاسات

البلاســتيكية ترطــن على القضبان الحديدية الصامدة بجدارة وصراخ المراقب "عفــتان" يتصـــدر الجوقة، المدوزنة، الضاجة، إلا أنه كان يفكر وهو شبه نائم في حضرة (وليم شكسبير) الذي صعد على الكوميدين الحديدي وخطب به قائلاً

(فليصدر الأمر بأن توضع هذه الجثث على
مسرح عالٍ حتى يراها الناس لكي أخاطب
العالم الذي لايزال جاهلاً فأنبئهم كيف
وقعت هذه الأحداث وسيتاح لكم أن
تسمعوا عن جرائم مبعثها الشهوة والوحشية
واللؤم وعن ضنون خاطئة أدت الى
قتل بغير عمد وعن مصارع دبرها
اللؤم وأخرى قضت بها الضرورة
وكيف فشلت تدابير وارتد الويل
على رأس المدبرين كل هذ' أستطيع
أن أعلنه عن صدق روايته)

وســـقط الدكتور سليمان بنوبة حزن مباغتة وشعر أن هذا الصباح يجلده جلدًا، وقد أطلقت أمعائه مواءً خافتًا ولعل نزهته الآن هي طعامه. إن اللحظات التـــي يفكـــر بهـــا بإبنه (داود) تنتهي غالباً على هذه الشاكلة ، يكون عصبيّ المزاج ،غير راضٍ عن حياته بالمرة ، وهو يستعيد صورة (داود) في ذاكرته على مراحل مختلفة

١ - طفل صغير،
٢ - الوحيد من نوعه

٣- أرقى أنواع الحليب،

٤- أكثر الأطباء مهارة، إنها الحمى، إنه الأسهال..

٥- مصاريف الدراسة الأولى،

٦- العبث خارج المستقبل،

٧- القلــق الأبوي على تصرفات لم تعد بريئة، إن قامته تطول وملامح وجهه تتقبل لحية مبكرة

٨- ثم الانضباط داخل فكرة الجيش..

٩- وأخيرًا طيارًا لايستهان به في سلك القوة الجوية.

وهكــذا شــعر الدكــتور سليمان بموعد نزهته المقررة ، صفف شعيرات رأســه بعجالــة وارتدى نعالاً ، أسود ، عتيقاً ومرتقًا من جانبه، قرب البوابة الخارجــية للردهة الداخلية.. صادف "جبار" واقفا يدخن سيجارة ورقية خفيفة (المُزبن)... دون أن يلقي التحية عليه ، بادره الدكتور سليمان قائلاً :

– اســمع يا جبار.. أذا كان هذا يريحك فإني أقولها لك الان ، نعم أن لدي ولــد وحيد اسمه داود وأظنه الآن يوقع على البطولة نيابة عنا وسوف أكون ســعيدًا حــتى لو انقطع عن زيارتي العمر كلهُ... وسوف أراه حتمًا ذات يوم حتى ولوكان ذلك اللقاء ، نظرة في تابوت

وابتســم "جــبار" مرتبكًا وعد هذا الكلام هُراءً ونظر الى الدكتور سليمان نظــرة شفقة وهو يلاحظ شعره وملابسه غير المنتظمة خاصة أن منظر نعاله السئ الصحة يجعله مجرد شحاذ لأكثر ، شحاذ لبق كان قد انتزع له ذات يوم لقــبًا جامعــيًا.. وخشــي "جبار" أن ينبهه إلى منظره المضحك وكان الدكتور سليمان قد فتح البوابة الخارجية وقال جبار في نفسه

ـــــ أنا على دراية بإن لا ولد لديه حتى ولو كان اسمه داود.!!

جذبوا ذلك التنور الحديدي، المتحرك، من عروته الجانبية السوداء الملوثة بالسخام والصدأ، انزلق وهو يختنق بزعيقه الحاد على بلاطات ردهة النساء وهكذا دفعته (ام حّسان) بنشاط ملحوظ إلى داخل الغرفة وجعلته يستقر الى جوار سرير شرقية أصبح الشبه لا شك فيه بين وجه "ام حّسان" وتلك الخنفساء المسجونة في دورق زجاجي ولعل شرقية أصبحت على صواب تماماً بأن هذا لم يكن حلمًا وهي تبصر عن قرب (ام حّسان) بملابسها السوداء، المحتشمة باسراف.. وقد ربطتها بحزام غليظ، صنعت منه، لفات لفات وثبتت عقالاً وبريًا فوق رأسها المكفن بشال أسود داكن.. إلاّ أن كبر حجم بطنها هو ما لفت انتباه شرقية.. أكثر ولم تكن "أم حّسان" يبدو عليها الانزعاج الطبيعي من هذا الانبعاج الكروي المائل الذي زرع في بطنها.. إلا إن شرقية عرفت وبغريزة الأنثى بأنها مُطالَبة بشيء.. وسرعان ما انتصبتْ على حافة سريرها وقبلت يد (أم حسّان) التي بادرت من فورها بشد شَعرْ شرقية وحملتها كما لو كانت ريشة لتضعها داخل التنور الحديدي وكان فمه واسعًا كفاية لحدوث هذا النوع من الابتلاع.. عندها استقرت، شرقية في القاع المظلم عرفت أنها تغوص في قطعة من الطين الرائب.. لحس الطين وجه شرقية ودبق شفتيها وعرفت له طعمًا لا يختلف كثيرًا عن طعم الزيتون، وكان هذا كافيًا لزرع السعادة في داخلها.. ورغبت في هذا النوع من الاحساس الساحر.. لو لا أن "أم حّسان" قاطعتها بأن جذبتها من شعرها وكتفيها وأخرجتها من فم التنور الحديدي بذات الهمة والنشاط التي لاحظتها "شرقية" على "أم حّسان" لحظة

دخولها التنور إلا ان نورًا ساطعًا كان قد سقط على عينيها.. وسال الطين على وجهها إلا أن طعم الزيتون ما زال يحفر مذاقه على شفتيها.. وكان هذا يعني حلول الصباح وتفقدت شرقية أعضائها وتحسست وجهها بيدها.. فأبصرت " فاتن" نائمة في حضنها وقد لملمت ساقيها إلى بطنها وحضنت صدرها بذراعيها مما أطلق حافات نهديها خارجًا وأصبح منظرهما يوحي بأنها مجرد دمية مصنوعة من المطاط.

انتفضـــت "شـــرقية" على الموقف بسرعة، وهي تشاهد الصباح متكشرًا بهذا الخبث الظاهر للعيان وشعرت أن الحياة حظرت مبكرًا داخل أروقة الردهة الداخلـــية وقـــد نشرت خصلات النور بفوضوية رائعة على البلاطات الأسفلتية وتعلقـــت "شرقية" بخصلة منها كانت ملقاة في الفسحة الضيقة قرب الحمامات الخلفـــية.. قالـــت "شرقية" في نفسها وهي تعتصر الماء اعتصارًا من الصنبور المثبت جيدًا على الجدار الكونكريتي الأعلى.

- كيف يكون طعم الطين هو طعم الزيتون!؟

وشـــاهدت انعكاس لحم فخذيها على مجرى المياه الراكدة أسفلها وسمعت فـــتاة أخـــرى تشـــجع فتاة صغيرة على نزع ملابسها كاملة لكي يتسنى لها أن تنتزع القمل من جلدها الصغير الاجرب.

إلا أن "شـــرقية" ســـهت عـــن نفسها متفكرة بالتنور الحديدي.. بـــ "أم حّســـان" ونشاطها الغريب بطعم الطين والزيتون والسعادة الغربية التي حصلت عليها داخل مستنقع من الوحل.. وخرجت " شرقية " من الحمامات الخلفية كما لـــو كانـــت تخـــرج من كهف صغير إلى كهف أكبر.. ولم ترغب في الساعات الأولـــى مـــن الصباح في البقاء داخل الردهة الداخلية حيث تبقى "فاتن" نائمة

علـــى ســـرير شرقية مفتوحة العين، تضع ساقًا على ساق كاشفة عن افخاذها المشـــعرة الصلبة ذات العضلات الملتوية، تطلق تثائبات كاذبة تتظاهر بالسعادة والســـيطرة وتـــنظر إلـــى وجه "شرقية" نظرة كلها جسارة وثأر.. بينما تبقى "شـــرقية" واقفـــة حائـــرة، مرتبكة لا تعرف ماذا تفعل، ولذا فضلت شرقية هذا الصـــباح أن تدفع البوابة الخارجية دون أن تفكر بالفطور وخرجت من الحاجز الاخير للردهة وكان هواء آذار مازال كسولاً بعض الشئ وله طعم ذكوري حاد بطئ الذاكرة وملول.

اذا مـــا تتبعـــنا نظرة الغراب الذي ما زال محافظًا على وضعه الاسطوري فــوق مبـــنى نشـــارة الخشب.. من أعلى فاننا نستطيع أن نتعرف على مشهدًا صـــباحيًا آخـــر يستطيع أن يدلنا على جثة نائمة أ وشبه جثة موضوعة داخل المقعــد الحديـــدي الـــذي كان في الأصل ارجوحة عمومية يلهى بها.. وعرف الغـــراب قبل غيره أن هذه ليست جثة بعد وأن عيناها مفتوحتان وأن هذا الذي نـــراه مـــن أعلـــى الآن هو المراقب "عفتان".. وأن "شرقية" كانت ترى المقعد الحديـــدي مـــن مسافة بعيدة وأن قفاه الحديدية المنتصبة لا تستطيع أن تساعد "شرقية" على النظر أكثر.

ففكر المراقب عفتان بأنه كان قد تأخر على عمله كثيرًا. ولكنه رغب بأن يجعـــل الصـــباح مبكرًا أكثر لا بالنسبة إليه فحسبْ بل بالنسبة للآخرين كذلك.. ولـــو لـــم يكن معتادًا على السكر كل يوم لكذب نفسه وهو يرى "شرقية" قادمة بإتجـــاه وشـــمَ رائحـــة شواء وكور جسده أكثر وحبس أنفاسه عندها وصلت "شـــرقية" إلى مكانِ النزهة واتكأت بظهرها على المقعد الحديدي ورغبة بتنشق هـــواء آذار بحرية.. إلا أن ظلامًا مفاجئًا حط على عينها وشعرت بأنها تسقط ارضـــا وأن يـــدًا خشـــنة كانت قد استطالت من أعلى ووطوحتها ارضًا.. وأن التنور الحديدي عاد إلى ذاكرتها من جديد وكانت "أم حّسان" تجذبها مرة أخرى من كتفيها وتشد شعرها وشعرت بدوار رهيب لولا ذلك الانسحاق الغريب الذي شـــعرت به في صدرها وإنها لم تعد قادرة على المقاومة أكثر وعرف المراقب "عفـــتان" إنها خالية تمامًا من ملابسها الداخلية، وأن ساقيها كفت عن الحراك

وهكـــذا ســـحبها إلـــى أســـفل المقعـــد الحديدي ونظر نظرات هلعة في جميع الاتجاهات إلا أنه لم يكن بعد على ما يرام وأن جسده أخذ يخونه لولا إنه تجرأ وفـــكَ شـــالها الأســـود المشبوك على صدرها ونظر إلى البياض المتكور هناك ودّس أنفـــه فـــي ذلـــك الشـــق الصغير المحصور بعناية شديدة.. واخذ يرضع الـــزوائد الحمـــيةبعجالة إلا أن عفتان اتقن عمله جيدًا وأعاد دميته إلى سابق عهدها وكأي قاتل محترف أعاد حتى شالها الأسود إلى ماكان عليه وأنامها في حضن المقعد الحديدي الذي كان في الأصل أرجوحة عمومية يلهى بها وصرخ علـــيه غـــراب آخـــر قـــادم للمشـــاهدة.. وذهب "عفتان" سريعًا خلف أشجار اليوكالبتوس المتشابهة وكذلك خلف اشجار النخيل السمينة المصبوغة بالتراب الأحمـــر، وكـــان من السهولة أن نتعرف على خطوات الدكتور " سليمان" وهو يمشي خارج ردهة الرجال ويفكر بنزهته اليومية المقررة متسائلاً إذا ما كانت شرقية قد سبقته الى هناك؟.

القسم الثانى

يعتصر النهار ظلي.. ولي هلعًا دفينًا لا خلاص منه من هذا البقاء الرهيب داخل تابوت محنط بالقضبان والجدران والأشجار والاسّرة

وحتى العصافير ما هي الا مسامير ترقع هذا التابوت الابله الرهيب.

يفكـــر الدكـــتور "سليمان" غالبًا بانه مازال مؤجلاً وأن حياته تمتد خارج أ بعـــاد جسده.. إنها تومض خارجًا وبعيدًا عن التنفس الذي يضرني قليلاً.. كما لـــو أنني غير متطابق داخل ذاتي كفاية وأول رشقة ماء عابرة كافية لانقطاع اوصـــال الحـــياة فـــي داخلي أنا الدكتور سليمان الذي وقفت رافضا ذات يوم للمعنى غير مبال باللقالق الجامعية نازعا عن عيني الاوهام الشرعية وصرخت بصـــوت مسموعٍ قبالة المنطق الحديدي لمشهد العقل المفتعل الذي لاحياة فيه ولا حقـــائق كافـــية،ها أنـــا ذا أجدني مشغولاًبغراب يرمقني من الأعلى ويبعث صـــراخه فـــي داخلي ...حزنا لم آلفه من قبل لقد وجدت "شرقية" مكومةأسفل المقعـــد الحديـــدي... و ملامح اصفرار غريب في وجهها الذابل.. وعرفت أنها تعرضـــت إلـــى دوار مفاجئ.. وأنها قصت علي حكاية التنور الحديدي، و" أم احّســـان " وطعـــم الطيـــن والزيتون.. وكيف أن للمقعد الحديدي ذراعًا طويلة وخشـــنة كما أنها اكدت لي.. لذة غريبة، وغامضة، أسقطت في داخلها سخونة عجيبة وأنها لا ترغب الآن سوى الذهاب إلى الردهة لتنام.

ولـــم أنـــم انـــا مطلقًا.. بالرغم من أنني لا أعرف ماذا اصابني على وجه الـــتحديد، ولمحـــت الطبيب ارسلان يتطلع من نافذة غرفتي ثم اتضح لي اكثر وهـــو يصل دكة الباب.. وقف الطبيب أرسلان قبالة الدكتور سليمان وكان هذا

الأخـــير جالسًا على كرسيه الحديدي ساهيًا هذا صحيح إلا أنه يشعر ويرى في الوقـــت نفســـه الطبيب أرسلان بأناقته المألوفة ولكن الزائدة على الحد كما أن الدكـــتور ســـليمان يعرف إلى ماذا يتطلع أرسلان.. إنه بلاشك ينظر باستغراب إلـــى الخنفســـاء المسالمة المحتجزة داخل دورقها الزجاجي وسوف يقول في نفسه :

– هـــذا هـــو الدلـــيل القاطع، البرهان الأكيد، الحجة العظمى ولم يطل به الوقت حتى نطق وقال :

- كيف حال الدكتور سليمان.

هكـــذا وبنـــبرة احـــترام مصـــنوعة بعناية، حيا الطبيب أرسلان الدكتور ســـليمان.. بيـــنما لم يتحرك أي عضو من أعضاء هذا الاخير باستثناء بعض الاحمرار الذي اعتلى وجهه حتى اذنيه..

ولا شـــيء يمـــنع الطبيب أرسلان من الخطو داخلاً دونما استئذان وكان الدكـــتور ســـليمان على علم تمامًا بماذا يفكر الطبيب أرسلان الآن، انه بلاشك يركز بصره ويعصر ذهنه مفكَرا بالخنفساء الحية داخل دورق زجاجي.. وهكذا وصلنا إلى جوهر القضية بالسؤال التالي :

- لديك خنفساء عجوز ورائعة كما أرى؟.

تحركت دماء غزيرة في عروق الدكتور سليمان واكتشف على الفور حجم المؤامـــرة التي تحاك ضده هو الدكتور المتخصص بالفلسفة والعلوم الإنسانية المدرس الجامعي ذائع الصيت والذي أعلن ذات صباح موت الجامعة.

- ما أدراك أنها خنفساء عجوز.. هل شاركتها الرضاعة!؟

- ....

- دعْ الخنفساء وشأنها.

وفكــر الدكـــتور ســـليمان بجدية هذا النوع من الاهتمام.. وأراد أن يلقن الطبيب أرسلان درسًا قاسيًا فعدل من جلسته واستوى في سريره الذي لا يكف عــن الأزيز ثم جذب "هنري السادس" من كومة الكتب الجانبية ورفعه إلى أنفه وشم رائحة العفونة المرغوبة بالنسبة إليه.

- اسمع أيّها الطبيب أرسلان.

ثــم اخــذ نفسًــا من سيجارته الجديدة وأخذ ينفث الدخان بعجالة وواصل كلامه قائلاً.

- اســمع ايهــا الطبيب.. أعرف أستاذًا كان زميلاً معي في الجامعة التي كنت أدرس فيها.

وهمهم الطبيب أرسلان بهمه من أنفه

- من.. هم. احما

وواصل الدكتور سليمان كلامه قائلا.

- وكان هذا الزميل متزوجًا من امرأة من ذلك النوع الدقيق جدًا ولعلها لم تكــن تســمح لقطرة من مطر أن تسقط على أنفها دون أذن منها وهي دائمة التدقــيق والنقــيق إلــى درجة إنها كانت توبخ زوجها على دخوله المرحاض ولاتفــوت له قطــرة من البول تسقط سهوًا على حافة المقعد أو يترك جوانبه ملصقًا فيه ببعض الخراء.. وبالرغم من حبه الشديد لها،

- لم يجد أمامه حلاً سوى أن يطلقها.

فقال له الطبيب أرسلان

- طّلقها هذا غير معقول.

- نعم، طلقها.

- ولكن ماذا تعني بذلك؟!.

أخذ الدكتور سليمان نفسًا عميقًا من سيجارته.. وكان يبدو النفس الأخير ثم أجاب.

- لا ينبغي علينا أن نعامل هذا العالم بنوعٍ واحد من الأهمية.

وأجاب الطبيب أرسلان

- ماذا تعني؟

- لا شيء أكثر ثقلاً او اقل وزنًا، أكثر معنى أو أقل أهمية.

- إنك تصيبني بالصداع.

- علـــى العكـــس إني أرى الأشياء بوضوح ألى درجة الرعب 'والطمأنينة ماهـــي ســـوى حصـــانة مؤقـــتة لا نفـــع فيها لماذا وبأي معنى لا تكون لهذه الخنفساء.. أهمية.

نهـــض الطبيـــب أرســـلان وقد شعر بالاضطراب وقد بدى عليه نوعًا من الخـــوف وعّض شفتيه ونظر صوب الخنفساء نظرة مختلفة جذريًا عن نظرته الأولى.. وخطى خطوات لا تخلو من تردد باتجاه الباب التفت حينها وقال

- وماذا لو أصبح لهذه الخنفساء أهمية؟!

اجاب الدكتور سليمان

- سيكون ثمة رؤية أوسع للأشياء.. وهذا يعني.. عدالة.

- عدالة!

- نعم.

- عدالة أن نتقبل العالم كما هو.. أنه عالمنا على أية حال.

خـــرج الطبيب أرسلان.. بعجالة.. وشيعه الدكتور سليمان بنظرة لا تخلو من ثأر.

ولسبب ما تمطت الخنفساء وتثاءبت داخل فستانها الزجاجي اللامع!

صـــفعت فاتـــن وجههـــا بفردة نعالها لأنها شاهدت معجون الطماطم بين ســـاقيها وللأســـباب لن تكون مختلفة كليًا عضت "أم حسان" على شفتيها حتى صـــبغتهما دمًـــا وهـــي تفزع من سائل أبيض يحيض من بين فخذيها توجعت وشـــعرت بانفجـــار حـــاد داخل برميل بطنها ومثل شيطان لم يعد أخرس قالت (رضية) بصوتها القبيح الحاد

- الحمل المتأخر ليس هينًا.

وقربـــت دلـــو (الغســـيل) مـــن فخـــذي أم حسّان كادت أن تسقط رأسها المعصـــوب فـــيه بيـــنما صرخت فاتن داخل غرفة الجنيات على (زينب) اقول صرخت وأعني أنها ركبت بوقًا معدنيًامشروخًا.

يا وجه البومة

يا وجه الفقر

يا بنت الحرام

وبـــذات النبرة وبمعية قليل من المطر قالت أم حسّان ولسانها يدلق بقايا خيوط صفراء اللون، عنكبوتية.

- قاتل الله عفتان الجرو

حضـــرت شـــرقية مبتهجة كثيرًا بامطار آذار السريعة المتساقطة وازداد غضب "فاتن" على "زينب" وطردتها خارج الغرفة ورمتها بفردة نعالها. تفادتها "شـــرقية" وهي داخلة كما لو كانت ترمى بوردة للمحبة، ولعل "رضية" شعرت بأنهـــا في ورطة حقيقية عندما أدركت أن الأمر لم يعد لعبة مسلية، أو مغامرة سرية مقدور عليها.

- "أم حسان"، يا أم حسان كممي فمك.

- واذكــري الله فـــي ســرك واستري علينا فليس لي بهذا الأمر ناقة ولا أرنب.

ولــم يكــن ذلــك أرنبًا الذي ننتزع الحياة منه من داخل برميل من اللحم، وشــدت أم حّســان علــى أعصابها ورغبت أن تتحول بكامل ثقلها ألى ريشة خفــيفة جدًا ملفوفة بخرقة قذرة.. ولفاتن وحدها الحق بأن تعد جرؤت الطبيعة عليها ذنبًا لا يغتفر.. كما أن دخول شرقية في هذه اللحظة أشعرتها بالمهانة.. بيــنما كانــت شرقية تمشي داخل الغرفة وتوزع خطواتها بين الأسرة الحديدية التــي لاتــترك فرصـــة أكبر لنزهة داخلية خاصة، تمشي وهي لا تفكر بشيء محدد، سوى أن سقطتها في الحديقة الخلفية تشعرها بأن شيء ما قد حدث لها ولــولا طــول يد فاتن عليها لتأكدت من ذلك الاحساس أكثر، إلا أن طول يدي رضـــية لــم تكن كافية ولا داعي للحديث عن مدى الإرباك والخوف اللذان حلا بذراعــيها.. إن أم حّسان تغمض عينها ويهبط نبضها وتكاد أن تكون في حالة احتضار.

إلا أن شرقية تعرف جيدًا بأنها منتهكة حتمًا لم يحدث لها طوال حياتها أن كانت على غير هذا الحال.. أن منظر أمراة ترتدي ملابسها في شارع عام الى جانبها رجل يمشي، لهو خلل لم تكن تستطيع أن تألفه أن الحياة غالبًا ما كانت بالنســـبة لهـــا تعني عادة سرية مع آخر أو مع آخرين إلا أن فاتن ذهبت إلى الحمـــام وهي تشعر بانها تغرق مع أن رضية أستعادت أتزانها وسيطرت على عملية القتل بمهارة وقالت شرقية داخل نفسها.

- لا ادري من اخبرني ذات يوم قائلاً :

الأخطاء ثمينة بشرط أن لا نصححها.

حامد الرسام

إذا كـــان حـــامد الرسام قد تأخر في الظهور أمامنا طوال هذا الوقت فهذا فقــط لأنــــه كان في أجازة فلم يكن حامد الرسام نزيلاً اجباريًا ولعله لم يعامل علـــى أنه نزيل يشبه الآخرين ولا أعرف لماذا ، شاهده الدكتور سليمان مرات عديـــدة لـــم يحـــض به يرتدي الملابس نفسها مرتين، لعل ما يرتديه من بنات أفكاره ، القمصان ملونة، صارخة، مزركشة غالباً ومنشوطة من الإسفل إلا أن بنطاله دائمًا واحدًا، الكابوي، المبقع، المصبغ، ولكن الممشوق على قده لحامد الرســـام هوس مرضي بالقلائد النحاسية والأساور الصغيرة الدقيقة وغالبًا ما يـــرفع ذراعـــه ليكشف عن معضد حديدي معقوف باتقان وله في نهايته رأس أفعـــى لـــم يكن حامد الرسام رجلاً بقدمين إنه يمشي بعشرات الأقدام، يركض غالبًا ويشتري المزحة والنكتة والمشاكل البريئة والمقالب بابهض الاثمان.

دخـــل على غرفة الدكتور سليمان وعانقه بحركة أرستقراطية، يضع خده فقــط علـــى خد الدكتور سليمان إلا إنه لا يقبل احد مطلقًا. شعر حامد الرسام بالاهتـــياج لـــرؤية مـــنظر الخنفساء ورغب بالدوران عليها صانعا صفارة في شـــفتيه، إلا أن الحـــائط الخلفي لم يمنحه الحرية اللازمة لذلك.. ولم ينتظر أي كلمـــة ترحيـــب من الدكتور سليمان.. وهو يواصل كلامه، يواصله كما لو كان يتكلم حتى وهو في داخل رحم امه ويالها من خنفساء رائعة يا رجل، أوه، انها تخـــبل تهوس.. يا لها من لمسة رومانسية رفيعة المستوى، أنظر إلى الخيوط اللامعـــة التي يضعها سقوط الضوء، الحليبي، وهو يخلق وسامًا ماهرًا يلمس بحـــرص الملائكـــة تلـــك الخنفســـاء المكبرة المزروعة داخلاً.. يالها من لفتة

عبقرية أن نصنع شكلاً متكاملاً مكونًا من فتنة الزجاج الابيض اللامع مع جسد الخنفســاء الأســود والتي تترك بهدوئها الزائد عن الحسد.. احساسًا مضاعفًا بالأبديــة، نعــم الأبدية والزوال كذلك، التفاهة المهمة في حياتنا، عدم التقدير الــلازم.. كل ما يرخص قيمة وجودنا في هذا العالم ويترك في داخلنا جوعًا لا شــبع فــيه.. لكي نفهم مرة واحدة.. ما الذي يجري هناك في كفن الكون في الزمــن الميــت،الأخرس، الــذي قــدر علينا أن نجهله، وأن نتقبل ذلك الجهل ونطوره ونجتهد فيه.

– شكرًا، شكرًا

هذا لأن الدكتور سليمان قد ناوله استكانة من الشاي وسيجارة رخيصة.

– كان بودي أن أجلب لك الكتب التي ذكرتها.. إلا إنه لا مدينة هناك

وهنا صمت حامد الرسام.

وصمت الدكتور سليمان هو الآخر رغم أنه لم يتكلم قط

وأصبح حامد الرسام مطالبًا بكلامٍ أكثر كما هو يعتقدُ عادة.

– هــناك فوضى، نعم، الأسلحة أكثر من الأيادي التي تحملها، هجر الناس بــيوتاتهم، هــناك سيطرات في كل مكان، لقد وصلت هنا بصعوبة قلت لنفسي.. إلى أين عليك أن تذهب في هذه الظروف.. الحياة بدورها ،أي والله ،راحت تبحث عن الحياة يارجل

وفكر الدكتور سليمان أن حامد الرسام يبالغ كعادته.. تمامًا كما هو الحال بالنســبة للخنفســاء والمذهــب الرومانســي.. كما أن الشاي ورائحة الدخان الرخــيص ومــنظر الخنفســاء في دورقها الزجاجي تشجع الذهن على إطلاق المخــيلة، تذكــر الدكتور سليمان رائحة البارود في الهواء والإطلاقاتِ النارية

المـــتفرقة والتوتر الحاصل لحالة العاملين هنا وثرثراتهم الجانبية ولكننا خارج العالم الآن، خارج الحياة، خارج التاريخ.. كما أن ولده داود لم يزره منذ فترة طويلة..

شـــعر حـــامد الرســـام بأنه اخطئ فيما قاله.. وحاول أن يغير الموضوع وحدثـــه عن مغامراته النسائية، الوهمية دونما شك مع نساء بلا رجال عندها نهـــض.. وفرّ سريعًا كعادته.. تاركًا رماد سيجارته على طاولة القراءة.. شعر الدكـــتور سليمان برغبة في النوم إلا أنه آثر ان يفكر بشكل الحياة فيما لوأنها موضـــوعة الآن قبالـــته داخل الدورق الزجاجي.. الذي لا نفع فيه.هل ستأخذ شـــكل الخنفساء وقبحها الرائع الغريب ام ماذا؟ ان هذا بدوره لن يكون أكثر أو أقـــل معقولـــية انه سيكون مجرد كينونة بحاجة إلى تفسير جيد يساعدنا على عدم رؤية النقص المنطقي الفادح الذي نعيش داخله منذ فجر الخليقة!

التشويش على الكائن

لقـد بـات بحكم المحسوم أمر اقتراف جريمة منظمة من النوع المتعوب علـيه وبناءً على طلب الأخصائية (رضية) جلب عفتان نبات الخروع في هذه السـاعة المتأخرة من الليل أزت عليه الخفافيش في سماءها العمياء وأسمعه الكـلاب نـباحًا مسـتمرًا وعند الجدار الخلفي للمستشفى يقع ما يمكن تسميته مجـازًا بمنزل أم حسّان.. وهو عبارة عن كوخ تم إنشاءه كيفما اتفق من تنك الصـفيح والطابوق وفضلات مادة الجص.. إلا أن غرفة النوم المتروكة جانبًا ويمكـن العبور اليها من فسحة مربعة معرضة لاستقبال الشمس والأمطار تكاد تكـون مشيدة كلها من مادة البلوك ومطلية من جوانبها بالزفت وكانت رضية تجلـب الماء من صنبور رئيسي مسروق من خزانات مياه المستشفى وبعد أن سلم عفتان ما هو مطلوب منه من نبات الخروع قالت له رضية تجول بعيدًا ثم ارجع بعد قليل.. إنشاء الله نتونس.

عثر عفتان بعلبة صفيح عابرة شتم على لا أحد ومضى في طريقه، تسلق جدار المستشفى.. الجدار الذي يعرفه جيدًا ذلك الشرخ الكونكريتي الذي أعدته الطبـيعة لهـذا الغرض.. عندما اجتاز الجدار.. استقر قليلاً في الأعلى وأرسل بصـره إلـى البعـيد الظلام يسيل على سطوح المنازل، صوت ضجة مكتومة. كلاب ودائمًا كلاب، طلقات نارية متفرقة إلا أن رائحة التراب المبلل غزت أنفه وشـعر بالدوار ثم قفز بصورة خرقاء وسقط على مؤخرته أرسل سباباً بصوت عـال.. على أم حسّان.. واصفًا أياها بوجه البومة بينما قامت رضية بصناعة فتحة واسعة أكثر في جدار رحم أم احسّان وسقطت كتلة لحمية مائعة وساخنة

جــدًا مغمســـة بـــالدم وعلـــى ضوء المصباح الشحيح شاهدت رضية بقعة دم مـــروعة تســـيل تحت أم حّسان وقذفت كرة اللحم داخل خرقة جانبية.. ورشت مـــاءً ســـاخنًا على فخذي ام حسان.. بينما عرف عفتان بان هناك كلبًا غريبًا يترصـــده كلب يزمجر في الظلام.. فصرخ عليه وقذف حجرًا بصورة عشوائية فســـمع صوت أقدام الكلب تبتعد.. رفع صوته عاليًا ربما ليطمئن نفسه ثم مشى باتجـــاه ثلاجـــة الموتـــى.. راغبًا بالشراب ومحتاجًا إليه افترش حصيرته التي تلـــيق بالمتصـــوفين، وجذب حقيبته الجلدية من خلف جهاز التبريد، ثم أخرج قنيـــنة الخمـــرة وسمع خطاف يمرق وصياح متقطع يرسله "حاجم الزبال" وهو يســـعل على أثر عطب مزمن في الرئة اليسرى.. شرب سريعًا وفتش بأصابعه علـــى بقايا كرات الليمون الحامض.. فوجد واحدة مثقوبة من وركها.. امتّصها وازدرد حموضـــتها التي لا تخلو من عفونة.. وفكر بذلك البياض الذي شاهده أســـفل شرقية وندم على عجالة ما فعله، كان يرغب بالبقاء أكثر عندما شاهد الحـــز الدقـــيق على وركها.. ومشهد صرتها الغافية، المثيرة، الملمومة بعناية وانـــتفاخ مثانتها وسقوطها الحر إلى إسفل.. شعر برغبة لدلك نهديها.. إلا إن ضـــيق دشداشـــتها مـــن الأعلى وطريقة ربط صدرها حال دون ذلك.. وتسائل عفـــتان ترى الم يشاهدني الدكتور سليمان الذي كان قادمًا من بعيد.. أعتقد أن لا.. فالاشجار كثيفة في ذلك الجانب من البعيد!

وهذا حسن.

الديك والمذبحة؟

لا أدري لمــاذا قــرر الديــك أن يطلق صياحه ثلاث مرات كان ذلك فجرًا حســبما أعــتقد بيــنما تحولت الطائرة الى حطام في القاطع الجنوبي من آذار ١٩٩١.. لــم تكــن الحسابات العسكرية صحيحة كفاية وأن هذه الطلعة قررها فقط من ناحيته وبتوقيته الخاص داود سليمان داود. الطيار الماهر الذي حصد الكثــير مــن مداليات الشرف وأوسمة الشجاعة إلا أنه الآن محشور في غرفة القيادة وقد تحول الى نوع نادر من الفحم البشري المعجون بالحديد. المحمر

كــان الدكتور سليمان ما زال شبه نائم في سريره التافه وهو يتقلب على جنبــيه يفكر قليلاً بإصبع قدمه الكبير الذي حشر بين الأصابع الحديدية الضيقة لسريره التافه والكثير الشكوى والذي يثرثر بصريره طوال الليل ويزعج بنفس المعــنى الخنفســاء الرائعة المدللة في دورقها الزجاجي.. ولاشيء يهم ما دام الصــباح قد جاء أخيرًا وكف الدكتور سليمان عن معاملة نفسه كجثة مؤقتة.. ازداد الصــخب شيئًا فشيئًا وأخذت الشمس ترسل أشعتها الباهتة قليلاً المشبعة بالــنعاس تحــرك القطــيع هائجًــا في أمعاء الردهة الداخلية.. بعد قليل سمع الدكتور سليمان صوت القازان الذي ذهب فارغًا وتزرع آذانه الحديدية لوامسًا ممــيزًا.. بعدها.. سمع أنه ينادي عليهم، ثلاث مرات، صوت الشرطي الأسمر ابــو كاظم أنه غالباً ما يسأله عن افضل الجامعات.. وما أذا كان ابنه كاظم من الافضل له أن يكون طبيبًا ام محام؟

ولم يكن قادرا على أخباره بأنه كان قد أعلن موت الجامعة وأن هذا مجرد تنويع على هراء

وفـــي المرة الرابعة لبى النداء، وذهب إلى البوابة الحديدية.. وقال له بفم غليظ مسورا بشوارب على شكل نصف هلال بأن هناك من جاء لزيارته!

ذهـــب إلى غرفة (مواجهة المرضى) وهي غرفة جانبية داخل ممر صغير يحـــوي غـــرفة للحرس وغرفة للجنة الطبية وغرفة اخرى صغيرة مخصصة للباحـــثة الاجتماعـــية وسكرتيرة اللجنة الطبية.. أبصر شابًا رائعًا يجلس على مسطبة خشبية مخلعة من جانبيها، واضطر ذلك الشاب الوسيم أن يخبره ثـــلاث مرات بأنه ليس داود ابنه بالرغم من أن ا لدكتور أبصر الطبيب أرسلان واقفًـــا جانبًا عنه بعد فترة قصيرة من استيعابه لوجود هذا الشاب الرائع قادمًا لـــزيارته، كـــان الطبيب أرسلان حزينًا جدًا وهو يضع مريلته البيضاء الأنيقة علـــى ذراعه الأيسر وقد بدا واضحًا للعيان مدى حزنه المفاجئ كما لو كان ثم حـــداد لا مهرب منه. لم يكترث الدكتور سليمان للأمر أصبح ذلك الشاب الرائع الـــذي يقـــف قبالته الآن مذهولاً وقلقًا بعض الشئ وكان بنظر الدكتور سليمان رمزًا للسعادة والاناقة وروعة الجمال الفتي في هذا العالم.

تســـلم الدكتور سليمان من يد ذلك الشاب الرائع كيسًا مخاطًا من القماش العتـــيق مملوءًا بعلب السجائر من النوع الملفوف بأكياس النايلون وقد فوجئ بحـــركات الشاب التي بدت له غير مألوفة من قبل مع ابنه(داود).. إذ إنها تنم عـــن رســـمية مـــبالغ فيها بعض الشيء خاصة عندما قدم له الشاب مظروفاً اسمراً لاشك انه مملوء مالاً كانت آخر ذكريات لهذا النوع من الاحترام هو أيام تســـلمه لراتبه الشهري في مكتب المحاسبةفي الطابق العلوي من مبنى عمادة كلية الآداب إلا أنه يتسلم هذا المال المحسوب جيدًا والذي يبعث في أنفه رائحة الورق المخزون والحبر الميت.. دون أن يعرف لماذا إلا إذا تم الموافقة أخيرًا

على فكرة (موت الجامعة).. وأن هذه الفكرة مكملة لأطروحة موت الانسان في هـذا العـالم وأنـه لم تعد هناك حياة كافية يخصصها الإنسان التافه المشغول والمملوء برازًا للمعرفة والجمال والخير والحب والفضيلة إلا أن مازاد دهشته أكـثر هو الطريقة التي خاطبه بها الطبيب أرسلان.. معبرًا عن رغبته الحقيقية في أن يكون بخير ذلك الطبيب الذي أتهم خنفسائه بأنها مجرد خنفساء عجوز ولا نفـع فـيها.. وهو الآن يأمر أحد مستخدميه بأن يحمل كيس القماش نيابة عنه وأن يذهب به إلى الداخل ثم نصحه أن يودع النقود في أمانات المستشفى بعدها قال له الطبيب أرسلان

- أذهب إلى نزهتك يا دكتور وعدْ متى تشاء!

صرخ الدكتور سليمان وراء ذلك المعاون الذي حمل عنه كيسه المصنوع مـن القماش مذكرًا إياه بأنه كان قد نسي أقتناء علبة سجائر ملفوفة بالنايلون وشـعر بملمـس خاص لهذه العلبة المكبوسة جيدًا و المغلفة بعناية.. ثم خرج الـى النزهة لا أحد يعرف لماذا يجب عليه أن يعامل النهار وكأنه شيء بديهي ولعـل شرقية المدعوكة جيدًا والمطبوخة بالنعاس هي الوحيدة التي تعرف أن وجـود نهـار متكثر إلى هذا الحد هو أمر ليس بالعادي وشدت بأصابعها على سيجارة مصقولة جيدًا ولم يركز الدكتور سليمان على وجه شرقية التي تنفست دخانهـا بسـرعة وقذفته بمهارة فتاه محترفة أخبرته بأمر عفتان ما معناه انه يعرف ما بيننا.

- ماذا يجري ما بيننا؟.

سالها الدكتور سليمان وهو ساهُم بعض الشيء.

قالت شرقية : يعني مثلاً، إننا عادة هنا، معًا وهو ليس معنا

أجاب الدكتور سليمان بحزم

- لا أحد معنا

حيـــنها جرت مجموعة من المرضى يحملون جثة نحيفة موضوعة داخل بطانـــية قـــذرة وكانـــت الجـــثة مكشوفة تمامًا يهاجمها الذباب بحرية ويسر.. وعـــندما ركـّــزت، شرقية بصرها على وجه ذلك الميت المتارجح داخل بطانية لطمت خدها بيدها والتفتت الى الدكتور سليمان وقالت له.

- مسكين انه حاجمُ الزبال.. لقد مات اخيرًا.

واجابها الدكتور سليمان بصوت جامعّي جهور.

- لقد كان ميتًا منذ زمن طويل!

ورغـــب الدكـــتور ســـليمان أن يمشي وراء جثة "حاجم الزبال) ورافقته شرقيةوهي تمشي إلى جانبه حافية القدمين وغير متزنة وقال الدكتور سليمان.

- لقـــد كنت أشعر منذ صباح هذا اليوم بأنني في حداد ويبدو أن شعوري لم يكن مخطئًا على الإطلاق!.

مقبرة الانغال

إنها صرة أخذت شكل كرة، أم لعلها كرة أخذت شكل صرة، ملمسها يبعث على الشعور بأنها كرة من المطاط محدودبة من الأسفل.. تطير منها رائحة زنخة من ذلك النوع الذي تقع عليه عادة في غرفة العمليات او في سوق القصابين في علوة جميلة ،عندما دخل عفتان على غرفة ((أم حسّان)) وشاهدها مستلقية على ظهرها معصوبة الرأس ورضية تهم بلف هذه الكرة بالخرق الزائدة.. شعر بأنه يتسلم هدية نفيسة سيكون هو الوحيد جديرًا بها.. إلا أنه تسلمها دون أن ينطق بحرف واحد وسرعان ما تراجع إلى الخلف وفتح باب الصفيح وذهب خارجًا موليًا ومتجهًا الى البعيد حيث الظلام على أشده.. هناك خلف التلة الترابية التي صنعت ذات يوم وجهزت بأطمئنان من الأتربة الحمراء.. من أجل مواجهة فيضان دجلة ذالك النهر الذي اعتاد أبتلاع أبناءه وزرع الموت في اجسادهم الجائعة في كل عام. هناك خلف التلة الترابيةتقع مقبرة من الأنغال.. داخل مربع من المسافة كان سبق لعفتان أن مر به ماشيًا مرات عديدة عندما كان عاملا بالطابوق.. كان مازال عاملا شابا عندما أخبره أحد الجيران بأن ((ليلى)) بنت مصلح البراميز قد وضعت نغلا وقام هو بدفنه في هذه المقبرة.. وكان عندما يمر بها يتأخر قليلا عن عمله ويأخذ بتامل القبور الصغيرة التي لا تعدوا كونها حفرا صغيرة جدا ردم التراب عليها وعلمت بعلامات عشوائية من القناني الفارغة والعظام التي تعود للكلاب و بعضها يسيج قليلا بقناني التنك او بمخلفات الطابوق الجمهوري ولم يفته أن يلاحظ بعض الحروف المكتوبة بطباشير الطابوق أو بقايا الجص المعجون بالتراب ولم يكن يعرف ماذا يعني دفن طفلا خاطئا.. ولعله حينها لم يكن يدري

بأنه هو بالذات مؤهلا لهذا النوع من الشرف.. يوما ما لم يكن بعيدا أنها مقبرة خاصة يفترض بها أن تكون سرية تماما ولذلك زرعت أعضائها المكشوفة في هذا المبعد من العراء.. وأن المراة المنكوبة غالبا تقطع مسافات طويلة خلف تلة ترابية مهجورة ومسكونة بالكلاب الشرسة والثعالب وبنات آوى وصنوف من الحشرات السامة والافاعي القاتلة.. لكي تدفن لحمة ميتة في هذا العراء.. وغالبا ماتكون المرأة المنكوبة في حالة سيئة وهي مازالت تنزف وتتخبط ولمرات سمع بوجود امرأة ميتة الى جوار جنينها المسفوح الهامد وأن شرطة البلدية تنتهي بأ حراقها مع النفايات العامة درئا للفضيحةوتجنبا للمشاكل الزائدة وحفاضا على ما تبقى من ماء الوجه ألا أنه الآن.. رجل يدفن نغلا له.. يا للمفارقة فهولم يكن شجاعا للإقدام على ذالك لولا أن الخمرة توجته ملكا مؤقتا لهذا النوع من الخراب ، وفكر مرات عديدة أن يرمي هذا الشيء من يده ويعود هاربا إلا أن شعورا غامضًا كان يدفعه إلى الأمام.. نازلا التلة الترابية بعجالة، يترنح بعض الشيء، شاقا طريقه بصعوبة داخل تلافيق من الظلام المؤجر لهكذا جريمة، شاعرا بواجب غامض يدفعه للذهاب إلى تلك المقبرة محروسا بسكين طويلة مندسة تحت حزام بنطاله.. وعندما وصل الى عمق مناسب داخل المكان، تعرف على المقبرة من كثرة الأزبال فيها ومن بقايا الزجاج المتكسر وحشود من التنك وعلب الصفيح التي كانت تعيق قدميه.. وتوقف عند تلة صغيرة لعلها تقع على حافة المقبرة.. ووضع خرقته وكومها جانبا ثم انتزع السكين الطويلة الحادة بينما هو يعمل لا يعرف لماذا على صناعة قبر صغير إلا أنه اراده واسًا بعض الشيء.. توقف في مكانه ثم أخرج علبة سجائرة متحسسا إياها واشعل بحركة آلية سيجارة كم كان بحاجة اليهاوما أن اشتعلت الجمرة بين شفتيه حتى تفرعت الجمرة إلى

جمرتين ثم سمع أزيزا حادًا أنفجر على صوت طلقة نارية دوت من مكان على الأغلب لم يكن بعيدًا. وأنبطح المراقب ((عفتان)) أرضا وتصنع سكونا لا يختلف كثيرا عن سكون الأموات وتناهى الى سمعه صوت قرقعة سلاح وعرف وميز بحاسته العسكرية القديمة أن هذه الاسلحة لم تكن مصرحا بها وأن صوت عجلات نارية كان يترسب إلى أذنه.. وعلم أن هناك أمرا ما يدبر في هذا المكان.. جذب لفافه الخرق ودسها داخل الحفرة الصغيرة.. ثم أنطلق زاحفا على بطنه.. وقد جرحت ساعداه وشعر بحرقة في ركبتيه ورغبة لاتقاوم للتبول وعندما عرف بانه أصبح في مأمن انتصب على قدميه وسمح لنفسه التبول داخل سرواله رغم أنه حاول أخراج قضيبه مرات عديدة ولكن دون جدوى وانطلق راكضا.. وقد نسي في غمرة أرتباكه السكين الطويلة الحادة التي نقش اسمه عليها..والتي صنعها بنفسه في دكان الحداد أيوب المشط يوم كان يدعي الشجاعة ويحسب نفسه من شقاوات زمانه ولم يفكر بالطبع بالعودة بقدر إصراره على اعتلاء التلة الترابية.. ثم الهبوط منها إلى حيث يقع المستشفى هناك.. بعد أن وطئت قدميه أسفلت الشارع عرف أنه قد وصل بر الأمان.. وفكر بالعودة صباحا لاسترداد سكينه.. وتجنب الدخول من البوابة الرئيسية مفضلا العودة الى الجدار الخلفي الذي يعرفه جيدا ولن يخطئه مطلقا حتى ولو كان أعمى..وقابله كلب اليف لديه ونبح عليه كلب آخر مازال يكن له العداوة وسرح شعره بأ صابعه المتسخة ثم أخرج علبة سجائره وعب نفسا من سيجارة جديدة وعرف أنه للتو دخل بقدميه.. مصيرا مجهولا غير قابل للتفكير فيه.

مصير أن تكون أبا لنغل من الأنغال.

فكـــر الدكـــتور سليمان طويلا بضرورة الخروج من المستشفى إلا أن ما حـــدث هـــذا الـــيوم يؤكد بأن هذا الأمر ما زال بعيدا، عندما تعرض له الطبيب أرســـلان وقاطع عليه نزهته.. وسأله باهتمام شديد عن الخنفساء وكذلك عن شرقية.. ثم ما حكاية ذلك الشاب الوسيم الذي حط صباح ذلك اليوم على أرض غـــرفة الزيارات.. نعم لقد قال له الطبيب أرسلان.. من الحكمة أن تعرف ماذا أصاب أبنك داود..

– وما لذي اصاب داود أبني

– ببساطة.. أن ذلك الشاب ليس أبنك.. داود

ولم يدهش الدكتور سليمان، بالرغم من انه فكر ليلا في أن أمرا ما لم يعد علـــى مـــا يرام، شعر بسخونة مفاجئة وشيء من الضيق كانت غرفة الطبيب أرسلان مليئة بنباتات الظل.. كما أن هناك في الزاوية الجانبية علاقة للملابس غير مستخدمة قط.. ولم يسمح له الطبيب أرسلان بالتدخين وهذا سببا اضافي للضـــغط على أعصابه وقد سمح لنفسه أن يخرج دون أن يحفل بوجود الطبيب أرســـلان مـــر هكـــذا ببساطة أمام منخريه دون أن يلتفت أو يتردد. خرج إلى الـــنزهة.. حـــال وصوله إلى مبنى نشارة الخشب وقع بصره على ((شرقية)) هناك كانت تمشي ببطىء، لحق بها الدكتور سليمان ومشى إلى جوارها وقالت له: إنني ارغب بالحياة اكثر

ولـــم يفكـــر بالاجابـــة ولكنه أخرج علبة سجائره وناول شرقية سيجارة حقيقية ثم تشمم الهواء الذي كان مشبعا برائحة البارود ومحروقات أخرى من

نفايات المستشفى.. أصبح المقعد الحديدي قريبا.. وشعرت شرقية.. بالانزعاج وهـــي تفكر.. ما إذا كان ذلك الشيء الذي يحدث معها مع فاتن ممكن الحصول علـــيه مـــن الدكـــتور سليمان.. داهمتها حكة مفاجئة أسفل نهديها ولم يبالي الدكتور سليمان.. نعم أنها حكة حارقة.. كما أن هناك شيئا من الورم بدأ ينمو هـــنا، وفتحـــت زرا رخـــوا.. وعرضت نهدها الأيسر إلى النور.. وتجمعت يد الدكـــتور ســـليمان علـــيها.. ولكن هذه اليد سرعانما أرتدت خائفة ومذعورة، ووقف الدكتور سليمان وهو يشعر بالارتباك وقال لها

– لا شرقية لا.. لم أعد مفيدا منذ زمن بعيد

وأجابته شرقية وهي جالسة في مكانها

– ولكن.. ألا.. تريد

– لا

هكـــذا تقـــرر ما يجب أن يكون دائما وإلى الأبد بالنسبة للدكتور سليمان بمـــثابة اليقيـــن الديكارتـــي إنه لم يعد صالحا للعمل، فهو الآن بقايا حريق، و يعرف جيدا بأنه لم يعد صالحا لهذا النوع من الطعام

ولكن شرقية مازالت ترغب بالحياة أكثر.. وهي لم تفكر مطلقا بهذا النوع مـــن الحب.. كانت طوال حياتها مسفوحة ومؤجرة لآخرين وربما ستكون هذه هـــي المـــرة الأولـــى التـــي ترى فيها رجلا.. لا يريد ولايرغب وعندما تحرك الدكـــتور ســـليمان.. ومشى عنها بعيدا.. شعرت بأنها تفور غضبا.. كما أنها على دراية بأنها ما زالت مرغوبة.. وأن فاتن قتلـــت نفسها من أجلها..وكانت ترشـــيها بقطع من الصابون المعطر والشوكولاتا ومشبكات الشعر البلاستيكية الملونـــة والمـــزججةو أن عفـــتان مـــثلا.. يصير ذئبا جائعا ما أن يقع بصره

عليها.. إلا انها لم تحقق ولا مرة واحدة.. ما ترغب به هي بنفسها.. أنها الآن تريد ان تحيا أكثر.. وهذا يعني كم هي بحاجة إلى الحياة مع آخر فعندما يكون الإنســـان وحــيدا فهو بلا شك لا يستطيع الحياة أكثر.. ولو على هيئة خنفساء داخل دورق زجاجي.

حــبة ، حــبة ،انفرطــت مســبحته من يده وتناهى الى سمعه فى ظهيره معتاداًاصــوت الطبيــب أرسلان لم يكن يحب أن يمسك بخيط المسبحه لأنهغالبا مايشــغل اصــابعه بالســجائر إلا أن الخنفساء مازالت تحاول أن تتسلق جدار الــدورق الزجاجى ويفكر الدكتور سليمان كم يلزمها من الوقت لكى تعرف أن ماتفعله هراءً وأن الزجاج يمنع التسلق وأن ماتفعله ليس شيئا على الاطلاق

دخــل الطبيب أرسلان الغرفة بعجالة لم يكن رسّميا كفاية كما أنه لم يكن يــرتدي مريلته البيضاء الأ نيقة والنظيفة المعرضة للمكواة دائما.. كان يفرك يــده اليمــنى بيده اليسرى وثبت نظره بعناية في وجه الدكتور سليمان ثم قال بلهجة لا تخلو من عصبية،

– سوف نعرضك غدا على اللجنة الطبية.. أيها الفيلسوف

ولــم يــتكلم الدكــتور سليمان بل لم يكترث بدخول الطبيب أرسلان أصلا وواصل الدكتور أرسلان كلامه قائلا:

– نعــم، كــنا نود إخراجك من هذا المكان إلا أن تصرفاتك الحمقاء حالت دون ذلك، ما حكاية هذه الخنفساء اللعينة بربك؟

حينها نطق الدكتور سليمان وصرخ عاليا

– ما شأنك بالخنفساء يا هذا.. لقد سبق لي وأن حذرتك من مسها بسوء

أنــتفض الطبيــب أرسلان وفكر أن يستعين بشرطة المستشفى.. إلا إنه اســتدار فجــاة واقــترب مــن الكوميدين الحديدي.. ووضع يده على الدورق الزجاجي وقذف به أرضا.. حدث صمت مفاجئ، صمت تام وكأن تكسر الزجاج

وتـــناثره على ارضية الغرفة كان قد ابتلع كل الكلام الممكن او المتوقع في مثل هــذه الكارثـــة، ولكن بذات المعنى.. وبحركة صامته هي الاخرى ركع الدكتور ســـليمان على الارض وهو يتطلع إلى خنفساءه السوداء المقلوبة على ظهرها والتقطها بعناية ثم نفخ عليها وكانه يخشى أن تكون قد فارقت الحياة.. وحينها ســـقطت ((شرقية)) من فوق سريرها بعد أن رفضت لفاتن رغبة بالرقاد الحر إلـــى جوارها وانسحب الطبيب أرسلان أو على الاصح هرب من غرفة الدكتور ســـليمان وكان يشعر بالإجهاد وهو يفتح البوابة الحديدية ويشعر بمدى ثقلها، وعندما نهض الدكتور سليمان قابضا على خنفسائه.. عرف ولأول مرة ما كان ينبغـــي عليه أن يفعله منذ زمن بعيد، نعم أن تحطيم البيت الزجاجي للخنفساء الســـوداء، الـــرائعة أنمـــا هو أعلان آخر لموت فكرته عن الجامعة والتي هي بشـــكل أو بآخـــر.. أعـــلان لفكرة ما غامضة وغير مباشرة بالمرة.. لمعيشته خارجـــا خـــارج النافذة، خارج الحدود، خارج الجدران الكونكريتية أو الجدران الزجاجـــية عـــندما بحث الدكتور سليمان عن علبة الكبريت وعثر عليها هناك فوق رف الكتب الذليلة النائمة إلى جوار بعضها البعض.. أصبح لديه رغبة لم تواتـــيه مـــن قـــبل، لرؤية شرقية، لا يزال الوقت مؤهلا للحصول على نزهة جديـــدة، صوت العصافير يزرع صدى خافتا تعطيه البلاطات الاسفلتية الممتدة على شكل شوارع صغيرة داخل باحة المستشفى الخارجية، الغراب العجوز في مســـكنه الخـــاص فوق نشارة الخشب لم تكن شرقية هناك، كما رغب الدكتور ســـليمان أن يحدث، لم تكن هناك بعد.. إلا أنه لمح عفتان يوجه مرضى آخرين للذهـــاب باتجاه المطبخ والذي يحتل ركنا أضافيا في ذلك الجانب الترابي الذي يزيـــن خديـــه حقـــلا من الخضروات أنشىء حديثا.. تظاهر بالمشي التقليدي،

المعـــتاد، وعض على سيجارة بين شفتيه، نظر إلى المقعد الحديدي الذي كان فـــي الاصـــل أرجوحة عمومية يلهى بها مركز الفضاء الطبيعي للنزهة، جلس علـــى ذلك المقعد الذي أصبح أكثر من مالوف.. أنتظر.. بصبر خال من التوقع لعلـــه صبر غير موجه بعد سوى للانتظار أكثر كان هواء آذار يدلك اذنيه كما أن رائحـــة الحشـــائش تعطيه شعورا إضافيا بقوة الحياة في الخارج.. وعندما وضـــع يده في جيب بنطاله لمسامرة أخرى لعلبة الكبريت، وجدها هناك، تنتظر فعـــلا جديـــدا.. أنه بحاجة ماسة إلى أن يبرهن لنفسه أمرا جديدا، فكر: أن ما ينبغـــي علـــي عملـــه هو أعطاء الوقت اللازم لشرقية لكي تحيا أكثر في مكان آخـــر، سيكون هناك عدد من البلاطات إضافية، نعم أنا دكتور جامعي، استطيع أن أعمـــل، ومـــاذا فـــي ذلك، أن غرفة خاصة بالضيوف مزينة بركن جانبي، وتلفـــاز، ومصباح جيد للإضاءة، أنها ستكون غرفة خاصة بتبادل الذكريات مع آخريـــن.. سوف أرتب الكتب على الجدار ستكون أعلى من تناول الأيدي، كتب كثـــيرة مصـــفوفة جيدا وساضع في ركن آخر كوميدار حديدي ثم أجلب دورقا زجاجـــيا لائقا حيث أضع خنفسائي، الصغيرة، الرائعة، التي لن يجرؤ كائنا كان على مسها بسوء.. ثم قال بصوت مرتفع

- ستكون لي حياة أخيرا بلا أوامر ولا تبريرات

- ستكون الخنفساء بصحة جيدة ولعلني سوف أذهب حينها مرة أخرى لا أحرق الجامعة، نعم لابد أن يعرفوا أن الامر مقصود تماما وأني ما زلت بكامل قواي الغقلية لكي افعله مرة أخرى وأخرى وأخرى.

دخلـــوا ستة أو لعلهم عشرة عندما نحسب بدقة ليست ضرورية ،هؤلاء الرجال المصنوعون من الفولاذ والذين يرتدون ملابس متشابهة، خاكية اللون، ويضـــعون وجوها متشابهة سمراء ولهم شوارب حادة، كثة ومزعجة، سيكون عددهم عشرة فقط عند اضافة الشرطي (أبو كاظم) والممرض (حمدان) وعماد الكهربائـــي ومـــن ثـــم بالطبع الطبيب (أرسلان)..، الدكتور سليمان على وجه الخصـــوص.. وهـــو عـــائدُ من نزهة يائسة لم تكن فيها شرقية التي لم تبادر للمجـــيء مطلقـــا خلال هذا النهار، وكان دخول هؤلاءُ الستة أو لعلهم الرجال العشـــرة بهـــذه العجالـــة.. أشعر الدكتور سليمان بالأهمية الأستثنائية لهؤلاء الغـــرباء المدججين بالسلاح أهمية شيئا ما، ضروري وحاسم، المشية السريعة نســـبيا، الخطوات الصلبة، وطريقة حمل السلاح تماما، سلاحا طليقا من نهايته لـــم يسبق له وأن تجرأ على دخول الردهة الداخلية التى تحوي أخطر المرضى كـــان واحدًا منهم يمشي في المقدمة، رافعا رأسه عاليا يعتمر بيريته وهي غير منضبطة كفاية.. إلا إنه كان يمشي بوثوق أكثر ولا يرغب برؤية الطريق تحت قدمـــيه، أنـــه بالاحـــرى يـــنظر إلى أعلى.. أقصد ينظر فوق أكتاف الاخرين.. وعـــندما دخلـــوا الـــردهة الخاصـــة بالمحكوميـــن، وتبعهم الدكتور سليمان.. وأبصـــرهم يدخلون غرفة أجتماعات اللجنة الطبية، وسمع أمرهم لا يعرف من هو الذي سمعه قال هذا، إلا أن الاسم قذف في أذنه.. انه عفتان لعلهم، أقرباء عفتان جاءوا بزيارة عاجلة إليه.. ولكن هناك سلاح كثير، مشية رسمية مهمة وأحدهـــم زعيما يقود الآخرين.. كما أن الشرطي (أبو كاظم) والذي يتمتع عادة

بصـــلاحيات مميزة في هذا المكان لم تعد تبدو عليه أية أهمية تذكر.. لقد كان يمشـــي هو الآخر، خطوات قصيرة لا تكاد تلاحق خطواتهم، كان أقرب إلى أن يكـــون مذنـــبا مـــنه إلـــى كونـــه شرطيا.. وعندما وصل الدكتور سليمان إلى الردهة.. شاهد (أبو كاظم) يومئ إليه وأقترب منه بعجالة وأمره قائلا:

- اذهب إلى الردهة أيها الدكتور وشم في نبرة صوته كلاما آخر يقول

- أذهب إلى الردهة حالا أيها الدكتور فهناك شيء مهم يحدث هنا.

ذهب الدكتور سليمان إلى الداخل وهو يشعر بالخوف بعض الشيء.

الخنفساء في حلتها الجديدة

- هاهي خنفساء أخرى لك يا دكتور!

بـــادره (حامد الرسام) فور وصوله إلى غرفته، عارضًا أمام عينيه قطعة من الكارتون غير مصقولة كفاية، عرضها أمام عيني الدكتور سليمان دون أن يلتفت إلى مصير الخنفساء الأصلية، الرائعة، والتي من المفروض أنها تواصل كدحهـــا الآن داخل الدورق الزجاجي.. وعندما تسلم الدكتور خنفساءه الجديدة الملصـــوقة علــى قطعة الكارتون، تنبه حامد الرسام الى الفراغ المتروك فوق الكوميدين الحديدي.. وقال بعبارات (قرائية على الاغلب)

- أنهـــا فاجعـــة، مـــاذا حدث؟ أخبرني كيف تم تحطيم الرومانسية التي لا سوء فيها

كيف تعرض ذلك الدورق الزجاجي إلى السقوط

قـــال هـــذه العـــبارة الاخيرة عندما أخذت عينيه تشع على ارضية الغرف تحصي عبثا الزجاج المنكسر، المتطاير تحت قدميه.. أنه حتى لا يصدق عينيه

إلا أن الدكـــتور ســـليمان طلب منه أن يجلس على مقعد قبالته ذلك المقعد الذليل الذي بلا مسند.. ووهبه سيجارة جديدة ولما تفحص قطعة الكارتون من جديـــد كانـــت الخنفســـاء الجديدة مكحلة بالفحم ومطلية بالسواد الدقيق ثم حك باصـــبعه زوائـــد بسيطة كانت قد خرجت عن حدودها.. وعندما هدأت نظراته أخـــرج ســـيجارة لنفســـه وبعث الدخان باتجاه الكوميدين الحديدي وقال بنبرة حزينة

- أرايت أنهم لا يطيقون عالمي الخاص في هذا المكان

وتظاهر حامد الرسام بالجدية – وكعادته – لا يدع محدثه يكمل كلامه

– انها كارثة، جريمة لا تغتفر.. أنت بالطبع رجل ليس قليل الشان يقاطع نفســه بالســيجارة، أحيانا، ويضع ساقا على ساق ثم يكتشف أن الوضع ليس مــريحا، يــنزل ساقه ويعتدل في جلسته بينما يتطلع إليه الدكتور سليمان غير راغــب بالكلام تماما وهو يخرج دخانا كثيفا ففكر بشرقية ولماذا لم تحضر إلى النزهة هذا النهار.. أن هناك شيئا على وشك الحدوث أمرًا من ذلك النوع الذي يطلق عليه الناس بالأمر الخطير، بالقرار المصيري داخل عربة الحياة السريعة الجــريان، اللاهــثة، ولكــن القابلــة للتغيير داخل أنفسنا في تلافيق المخ عند حشرات المعدة فوق أرنبات أنوفنا الصغيرة والموجهه إلى الخارج.

وقال حامد الرسام:

– أنت لن تسكت على هذا، صحيح؟

ولــم يجيــبه الدكتور سليمان إلا أنه فكر بالرجال الستة أو لعلهم عشرة رجــال جاءوا مسلحين إلى المستشفى ودخلوا بانتظام إلى غرفة اللجنة الطبية غــير أن هــذا الأمــر ما زال محتفظا بغموضه وهكذا تساءل الدكتور سليمان بصوت عالٍ

- ترى ما علاقة الأمر بعفتان!؟

- أنت تغيرت علي.. يا شرقية

هكذا همست لها ((فاتن)) في أذنهاالصغيرة، في ساعة متاخرة من الليل، بعد أن رفضت (زينب) فاتن وهددتها بالشكوى إلى أدارة المستشفى، الا ان شرقية.. أضعف حتى من زينب.. الصغيرة، المدللة، العزلاء والتي لا دفاعات كافية لها.

نعم أنها اضعف بكثير حتى من خنفسائها التي ربتها طويلا في علبة كبريت ثم قدمتها كهدية عزيزة إلى الدكتور سليمان.. شعرت، شرقية بالشفقة على فاتن.. إنها لا تعرف أن تحيا حياتها دون ذلك الشيء.. أخبرتها فاتن مرات عديدة من قبل كيف إنها ضبطت داخل منزل العائلة بإوضاع مريبة.. كنت أحب أن أتجسس على أخي الكبير الذي كان يعمل على أغواء صديقته (مي)، هناك قرب قفص الدجاج في حظيرة صيف حارق.. إنني أعرف بالطبع أن أرتداء المرأة لملابسها مظهرًا مؤقتًا كما أن التمسك بالحياء لا يجدي فتيلا كنا فتيات أسر محافظة، ومحافظة جدا.. كنت أرغب بأن أكون كالرجال أنهم متحررون أكثر ويتفاخرون غالبا بأنفسهم.. ساعدتني فتاة صغيرة بالمجيء إلى منزلها البعيد، كانت تحتفظ بغرفة كاملة لها.. في الطابق الثاني داخل البيت كانت نه حديقة حقيقية وعندهم ثلاث كلاب للحراسة.. عندما تمددت معها على السرير شعرت بالحياة الحرة. وكان قلبي يدق بعنف وبطني تلتهب عندما لمحت لي تلك الفتاة أن أكون سيدها الحقيقي.. فعلت كلما في وسعي

لأتطـــابق مـــع خـــيالها.. كنت حرة، عارية، رميت بملابسي بعيدا، كانت شبه ســـاحرة الا أنهـــا شـــعرت بالخوف من ملامحي الغريبة، القاسية وسرعان ما لمحت في داخلي ذكورة طاغية كانت جبانة وغير واثقة من رغباتها وسرعان مـــا تنصـــلت مني و أنتهى ذلك إلى قطيعةعدائية وكراهية شديدة. حاولت بعد ذلـــك أن أجد ميولا متشابهة عند أخريات إلا أن إسرافي في الخيال لم يتح لي متســـعا من الحياة داخل الواقع.. تحركت ((شرقية)) بعيدا عن ((فاتن)) حركت جســـدها بحذر خوفا من أن تثير ((فاتن)) أو توقض غريزتها العدائية وقررت ((فاتـــن)) أن تطفـــيء الضـــوء بسرعة.. ثم حاصرت ((شرقية)) التي عثرت علـــيها جالســـة أرضـــا، حاصـــرتها ومـــدت أصبعها.. وحكت قفاها.. شعرت ((شـــرقية)) بالانزعاج إلا إنها كانت ملتذة بعض الشيء.. وعندما تقدمت فاتن معها أكثر.. همست باذنها قائلة: ((أن بطنك مرتفعة قليلا.. أنها مرتفعة بشكل ملحوض)) وشعرت ((شرقية)) بالدوار.. والحيرة والارتباك.. بينما ذهبت فاتن إلـــى حيـــث تريد.. وجدت شرقية نفسها تموء ببطء، خلف الكوميدين الحديدي داخل ظلمة لا قرار لها ولا حافات ولا مقود!

القسم الثالث

الثأر النفسي

لــم يكــن ســـهلا على الدكتور سليمان أن يبتلع الإساءة المقصودة التي أرتكبــت بحقـــه متمثلة بتوجيه ضربة قاسية إلى خنفسائه العزيزة على قلبه.. أنـــه لــم يعــد يحتمل بقاءه في غرفته الخاصة طويلا.. يضع قدمية في نعاله البلاســتيكي العتيق ويخرج إلى الردهة الداخلية غير مبال بالبرد الذي لا يخلو مــن قســوة خفــيفة على جسده الذي لم يعد يتحمل ظروف المناخ.. غالبا ما تكــون الردهة مزدحمة بالآخرين.. بعضهم عراة تماما والبعض الآخر يرتدي بطانيــته اويكسو نفسه بجاكته طويلة لا لون لها أنه يتمتع بالنظر لهم مباشرة كــتل غريبة ونافرة، غير متجانسة على الاطلاق انه يتودد قليلا الى ((غلاب)) الــذي سبق له أن أجهز على أخته الوحيدة متهما أياها مع أبن الجيران.. كان (غــلاب) يكلم نفسه ويمشي بجانب الجدران.. مشية مستقيمة لا انحراف فيها أو لعلــه يرغب ان ينصت خاشعا الى ((محمد الملة)) حافظ القرآن وهو يضع لنفســه متكــئا وهميا ويصعد على علبة صفيح فارغة ويقرا آيات من القرآن يستطع الدكتور سليمان أن يجزم قاطعا من أنها خالية من الأخطاء النحوية.أو يــتامل بدهشة لم تزايله قط(شلداغ) المشاء الذي لم يتوقف عن المشي مطلقا مــنذ ثلاثة سنوات يمشي بخطوات واسعةوسريعة طوال الليل والنهار لا يتوقف أبــدا يــاكل وهــو يمشي ويشرب الشاي في طاسته البلاستيكية المعلقة بخيط بطانــية عتيقة يخرأ ويبول ماشيا وغالبا ما يصطدم بالجدار الامامي للحمامات الخلفــية فيخــتل توازنه إلا انه لا يسقط أبدا لا يراوح في قدميه ولا ياخذ إي قســطا من الراحة مرة اصر الدكتور سليمان أن يعرف حكايته بعد مدة قصيرة

مـــن جلـــبه إلى المستشفى فسأل الباحثة الاجتماعية عنه ماهي حكاية شلداغ ياتـــرى ذالك الذي لا يجارى فاخبرته بأن الأمر لا يعدو كونه قد عرض زوجته وأبـــنه الوحـــيد الرضـــيع إلـــى حادثـــة سيارة عندما صدمها في شجرة وسط العاصـــمة وكان حينها ثملا جدا وعندما شاهد زوجته وإبنه الوحيد ميتين أمام عينيه أطلق صرخة عالية وخرج من وراء المقود مطليا بالدماء وأطلق ساقيه إلـــى الريح ومن حينها لم يتوقف مطلقا بعد ذلك أو بالاحرى لم يكن غير كائنا ما شيا على الدوام

كـــان الدكتور سليمان يمشي حالما في هذه الساعة من الليل – يتطلع إلى الـــنجوم الســـابحة عاليا فوق رأسه اعتاد أن يراها من خلال المربع المحدود للسقف المرفوع عن جدران الردهة المتقابلةالحازمة، إلا انه لاحظ بعناية كيف تصـــبح النجوم مائعة قليلا، وهي تنز أضواءها الأخاذة. بينما يسمع حالات من هـــم حوله، صارخا أحدهم دونما سبب ويبكي آخر، ربما لإنه يفتقد إلى اتساع أكـــبر للجدران التي تحيط به، أن الشيء الذي ينمو بداخله ويكبر هو كونه لم يعـــد قـــابلا للعيش هنا، خاصة وأنه لم يعد يفكر لوحده، هناك ((شرقية)) التي تريد أن تحيا أكثر، إنها بالطبع سوف تكون زوجة له.. ليس هذا تحديدا.. فهو لـــم يفكر بهذا الأمر.. لم يخطر بباله ولم يبرق في ذهنه، عندما رآها في المرة الاولـــى كانـــت هـــي أيضـــا معتادة على نزهتها اليومية المقررة.. بالرغم من إنهاأعـــتادت أن تقـــتل وقت فراغ تلك النزهة في الجانب الاخر من الحديقة.. حيـــث يقـــع مذخر الأدوية الأصفر، الكئيب تحاذيه مساحات من الأتربة تزدحم فـــيها كـــلاب دائمة اللهو والعراك في هذا الجانب وعندما كانت شرقية تشاهد مجامـــيع الغربان تتكدس على جيف لجرذان ربما أو حتى فئران صغيرة أغرت

نفســـها بالخـــروج لملاقات حتفها فتنطلق ورائها قطط قذرة.. وأحيانا تطاردها الكـــلاب نفســـها وهي تطلق زمجرات غاضبة إلا أن الغربان بدات تقل بعد ذلك وعندما أرسلت بصرها ذات ظهيرة عثرت على غراب اسود، خبيث ينقر سقف مبـــنى نشـــارة الخشب (هو ذالك الغراب نفسه الذي لطالما لفت أنتباه الدكتور سليمان وهو جالس في المقعد الحديدي وهو يحك جلد كتابه بإضفره، ويستعيد جانـــبا مـــن نظـــرية أرســـطو في الثالث المرفوع) إلا أنه في ذلك الوقت عند منتصـــف الظهـــيرة وشـــمس اذآر لـــم تكن حادة كفاية عرف أنه بحاجة إلى مفاجـــأة.. ما فائدة وجود نزهة داخل أشجار متفرقة بمعية جرذان ضاجة هي جائعة غالبا على طوال الخط دونما أدنى مفاجأة وهكذا كان قدوم ((شرقية)).. بهـــذا الشـــكل المفاجـــيء من خلف ((نشارة الخشب)).. لم يكن الأمر واقعيا بالمـــرة، أنـــه ظهور طاريء، عابر، يستطيع الدكتور سليمان أن يفحصه جيدا ولكـــن لاضمن حسابات المكان الذي يمكن أن يبصق كائنا اخر لا يشبه الجميع هنا وهناك ولكن المكان لا يبصق الأنثى عادة إنه يفضل إغوائها والأحتفاظ بها وفـــي اللحظـــة التي تماسك بها المكان جيدا وجعلت أشجار الياكاليتوس فرصة مناســـبة لتصويب نظر شرقية إلى الأمام.. أصبح وجود الإهمال وكمية الصمت إلتـــي لا بـــاس بهـــا يضاف إليهما المقعد الحديدي الذي كان بالأصل أرجوحة حديديـــة يلهـــى بهـــا.. ربما تكون هذه العناصر مجتمعه استطاعت ان تقوي المفاجـــأة وتغذيها من الداخل.. ولكن سوف تصبح المفاجأة أشبه بسقوط طائر صـــريعا بيـــن قدميك في غرفة الضيوف او مشاهدة بقرة على حائط!.. وليس الدكـــتور سليمان من ذلك الصنف الذي يزداد انتشاءً. أن الحصول على شهادة جامعـــية من فصيلة المثابرة والاستماتة (فصيلة أيام زمان) لن تكون أمرا هينا

هـــناك ((دم قلـــوب)) أنفقت من اجل الحصول على النجاح.. هناك أب حارس
وفـــراش فـــي مدرســـة يعصــر الـــنقود الشحيحة في كفيه ويحرم نفسه من
مواصـــفات الـــرجل وتطلعاتـــه الشهوية المعروفة من أجلنا نحن الأبناء الجدد
الذيـــن ســـنذهب إلى النجاح بينما يذهب الأب كعادته إلى المقبرة.. لا أحد ينكر
أن لهـــذه الـــنزهة رائحة المقبرة ولكنها مقبرة كريمة أرسلت لي مفاجأة حية
علـــى الأقـــل.. وحينما عرفت أن هذه المتسكعة والتي تأكل نصيبها من نزهة
رســـمية أعـــتادت تنفـــيذها في مكان آخر هي شرقية.. وأنها أيضا كانت لها
نظريـــتها الخاصـــة بالاستحمام عارية في مكان عام وداخل نافورة مطفأة في
مكـــان يـــزدحم بالـــناس والمارة وقاطعي الطريق.ومن ثم هي التي و هبتني
خنفســـاء رائعـــة مدللة وأنها ستواصل دونما تردد اختيارا حرا لحياة مشتركة
غـــير مســـممة بالاخرين.. إلا ان من السهل علينا أن نستشف الحالة النفسية
الكامـــنة داخـــل جلـــد الدكتور سليمان رغم اقتناعه بميتته الحتمية، الصارمة،
المتصـــلة.. فانه كان يفورصمتا هناك اجزاء حارة منه في خارطة خلاياه، يشم
أي عابـــر سبيل ذلك الشيء الذي يحترق في أعماقه (التي يجهل أين تكون)..
رائحـــة أحـــتراق دهان.. (شعواط) لشيء مدفون في جلد من النايلون الرقيق
ولكـــن المقـــاوم.. حيـــنها سمح لنفسه أن يفكر بالحصول على رغبة حقيقية
واحدة غير قابلة للتريث أن أية رغبة حقيقية سوف تموت حال التريث فيها.أو
التامل المناسب لقلة العمل الشائع بين الأحياء.

لـــم تعـد شـــرقية تفـــي بالغـــرض أنتفخت بطنها وتغيرت رائحتها كثيرًا وأصـــبحت باختصـــار شديد لاتطاق فكرت فاتن بهذا وهي متكومة في زاوية قصـــية في غرفة الجنيات الكئيبة والمريبة.. تراقب الأسرة الحديدية المزروعة على أرضية الغرفة برصانة.. يأخذ الليل قسطه المناسب من الصمت.. إلا أنها الآن ترســـل خواطرها إلى الصغيرة (زينب).. وتراقب طريقتها في النوم، إنها تلملـــم ســـاقيها وتلصق ركبتيها على بطنها وفاتن تكره كثيرًا هذا الأسلوب في الـــنوم أن الفـــتاة الرائعة تطلق لجسدها حرية الإهمال في السرير على الإقل.. كيف يمكن تحمل هذا العدد من الملابس، كم كنت أهوى أن أنام عارية.. أجعل الهـــواء يدخل من أية كوة يشاء.. الغطاء يلمس صدري ويمسد على فخذي.. ولكـــن مـــا أحلـــى الـــنوم وحيدة.. دونما أزعاج، دونما حركة.. ولا اكاد اميز ذراعي عن ساقي، ولكن ماذا علي أن أفعل الآن، الصمت فاتح ماهر للشهية.. لـــم تكن شرقية نائمة تمامًا فهي غالبًا ما تنام بنصف أغماضة إلا أن الصغيرة زينـــب تـــنام مـــبكرًا وقـــبل الآخريات.. عندما نظرت إليها فاتن شعرت بأنها حقـــيقة؟؟ وأنهـــا ســـارقة تحـــت جنح الظلام.. طرحت جسدها بقربها وأخذت تتحســـس بيدها تلك النتوءات الغريبة المزروعة تحت الغطاء.. شعرت برغبة للعطـــاس وذلـــك الـــنوع من المشد الغامض المصلوب اليابس، وحلاوة الجلد المـــتكور، المتورم قليلاً حيث يصبح له نعومة القطن المضغوط.. وحين بادلتها يـــد، صغيرة، نافرة، شعرت فاتن بأنها تقاوم بينما يتردد شخير من مكان ما.. لم يكن تحديد اتجاهه ممكنًا، الشخير يتعالى وحكة أضافرها بسقف الغطاء.. ثم صرخة (فاتن) بقوة وشدت كفها الأيسر على فم مبلل بالبصاق.واسنان ساخنة

تعضها. دفعتها زينب "بعنف طفولي" أخرق.

وعـــندما أرادت فاتـــن أكمال ما بدأته.. أنقلبت زينب على بطنها وأرسلت رفصات قصيرة، منظمة، ثم قفزت واقفة على قدميها.

فتحت أحداهن الضوء وكانت هذه شرقية

بينما تظاهرت فاتن بالنوم

صرخت زينب عاليًا

- انها تلولبني – ساقطة.

نـهضـــت فاتن فزعة وتظاهرت بالبراءة.. بينما انطلقت زينب راكضة إلى خارج الغرفة وقالت فاتن بصوت آمر الى شرقية.

- امنعيها، قلت لك امنعيها

عرفت شرقية بان الأوان قد فات وتنفست فجرًا جديدًا مقطوعة موسيقية تبدأ للتو عزف عصفوري منفرد، فحيح خفيف لأشجار الباحة الخلفية، وصدى صوت زينب يسمع، مائعًا، مرتجفًا، غاضبًا ورعديدًا.

أقتربـــت فاتـــن مـــن شرقية حتى لمس وجهها أنف شرقية وهمست لها بصوت قططي خبيث قالت.

- أشم راحة جيفة في بطنك.

ودت شـــرقية لو إنها تخبرها بهذا الأمر وتسرها حيرتها وقلقها واتباس الوضـــع علـــيها إلا أنها لا تقدر على الكلام.. لا تعرف للكلام طعمًا، وتحركت شـــرقية صوب نافذتها الجانبية وأحتفظت في ذهنها بخيوط لفجر يتسلل خلسة إلـــى فضـــاء الردهة الخلفية وشعرت بأنها في ورطة وأن هناك خطأ حدث في مكان ما من جسدها الذي لم يكن يومًا حكرًا عليها وملكا لها ولو لمرة واحدة.

خرجـت أم حّسـان مـن الاربعين إلا أنها مازالت مغمسة بالدم والنعاس والذبـاب وما زالت أعضاءها مفككة وأضلاعها مسحوقة مستلقية على ظهرها طوال اليوم وتبصق في صفيحة جانبية من التنك علامة الراعي!

ولـم تعد رضية تتردد عليها كثيرًا، وذلك لأنها لم تعد تدفع شيئا' ولم يف عفتان الجرو بوعوده الهروبية من أنه سيقدم مالاً عنفته رضية وتوسلت إليه وذكـرته بالإنسان والرحمن ورقة الحيوان على إخيه الحيوان ولكن لا فائدة.. أزداد عفـتان قساوة رغم أنه يشعر بأن أيامه معدودة وهناك خطيئة لم تطوى بعد وفعل قتل لم يتم التكتم عليه بصورة جيدة، شعرت أم حسان بمدى خطورة مـا جرى لها وأن هذه الخطورة لا زالت نائمة إلى جوارها وانها مثل عاصفة مفاجئة سوف ينفجر الضجيج منها.. لن يبقى الباب المرقع بالصفيح مقفلاً من الخـارج.. لطالمـا هـناك من يسأل ومن لابد له أن يعرف حقيقة الامر، مرق خطاف وأطلق نذيره شعرت أن عواء الكلاب أنما موجه نحوها وأن ذلك الديك الـذي لا يصمتً يحذرها ويشد على أزرهاويحثها على الهرب.. ولكن إلى أين؟ وباي ساقين هزيلتين سترحل، وعرفت أنها أنما تقف على حائط بساق واحدة.

كانت رضية هي التي فتحت الباب ثم دخلت غاضبة ومتوترة كعادتها رمت عـباءتها جانـبًا وكشفت عن قدر صغير يحوي قليل من الرز المغس بالمرق وفتحـت أسـطوانة لسـانها وشكت من عفتان والمرضى وشحة الطعام وعدم وجـود المـال ولم تعد قادرة على تصريف ما لديها من سجائر وشطائر بائتة وجواريـب رجالـية وأخـرى حريرية وبعض الملابس التي لم تعد في ذاكرة

الموضة وعن كذبها الدائم وأجابتها التي لم تعد مقنعة عن أم حّسان (وأين هي وكيف ومن ولماذا وهل هذا صحيح ....!!؟

وهــل صحيح أن عفتان سيجلب لها المال وأنه الآن يسرف بالشراب ولم يعــد يتواصل في عمله مثل قبل وهناك أشاعة طازجة تقول بأن هناك من جاء ليســأل عــنه.. لا ليس من أقاربه يا أم حسان بل من رجال غرباء، حازمين، يــرتدون ملابس نظيفة جدًا ومشكوكاً فيهم.بأنهم من رجال الأمن وأنهم يبيتون له امرا

وشعرت أم حسّان بأنها تحيض مرة أخرى وأن هناك جنين في داخلها أو لعل ما أخرجته رضية لم يكن إلا نصف آخر للحم.النئ. المتعفن في داخلها ولم تكــن قــادرة على مضغ الطعام وشعرت بأنها تدخل غيبوبة باردة، لذيذة، وأن غرفــتها تدخــل بظلام مغمس بالحليب وأن الجدران ما هي إلا جبال من قطن مصــفوف إلــى أعلــى.. وعرفت (رضية) بأنها نامت.. عندما سحبت عباءتها الــباردة وحطتها على رأسها وهي تفكر بضرورة الهرب والأبتعاد عن الخطر الذي لم يكن هينًا أطفاءه أو التنكر لحضوره القادم، الزائد عن الحد.

لا تــزال ردهـــة النساء تحافظ على أشجارها إلا أن الممر الداخلي المزين بالقضــبان الحديدية يحوي زنزانة أنفرادية واسعة كفاية.. وأن الباب الحديدي الذي يحاصر هذه الزنزانة من النوع الثقيل ذي المعطفين.. أستطاعت فاتن أن تشـــغل نفســـها بعـــد المسامير الناتئة التي أندست فيه ثم أنتقلت لتعد القضبان الحديديـــة التـــي تمثل الواجهة الأمامية للغرفة ولكنها شعرت بالعطش فاقتربت لتشـــرب من فوهة حب للماء. ثم ثبتت نفسها على القضبان ودفعت أنفها بين الفـــراغ الـــذي حصـــلت علـــيه.. شعرت بالهياج بعد شعور آخر بالحقد على الصـــغيرة زينب وعلى شرقية كذلك.. وراقبت منظفة الردهة وأنتبهت إلى حجم مؤخرتها المتكورة الزائدة من حافاتها.. إلا أنها عادت للتفكير كيف أنها بريئة وعلى الطبيب أرسلان أن يصدق ذلك، انتبهت إلى الشجيرات، القليلة المخضرة أمامهـــا، وعرفت أن هذا الذي تتعرض له هو عقابًا.. تلك المفردة التي ادمنت علـــيها وتعرفت على طريقة أستعمالها مبكرًا،.. (أنت مخطئة في هذا وفي ذاك وفي كل شيء).

وفي اللحظات التي فكرت بها.. بأنها دائمًا في حالة عقاب.. شربت زينب كـــل العصير الصناعي في الدورق الزجاجي الذي يرتدي أزهارًا كثيرة.. هناك غـــرفة مؤثـــثة بكراسي منجدة، ثمة ستارة تجعل النافذة التي خلفها زائدة عن الحاجـــة ،ويكون ممكنًا مشاهدة الطبيب أرسلان جالسًا لا واقفًا يضع يديه على طاولة خشبية تشع على قفاها الأضواء المباركة المطمئنة.. وإلى جواره طبيب آخـــر وصـــل حديثًا يضع نظارتين مربعتين تكسبه منظرًا باردًا وعندما أنطلقت

زينـــب بـــالكلام قاطعها الطبيب أرسلان محاولاً أحداث مونتاج ضروري لبعض الفقـــرات الشفاهية.. (أدخلتها.. تورمت تحتي.. شاهدتها تمص.. عرفت بأنها تنتصب!!..الخ!!.. الخ وماذا بعد أنها تقرص مثل يربوع مثل بطة مثل كلابتين مـــثل رجل بجسد أملس.. أستخدامها لمقبض المكنسة.. دللتها خلف الكوميدار الحديـــدي.. كنـــت أبول في حضنها!!.. الخ!!.. الخ..!! الخ..!! أن فاتن تفعل هـــذا!!! الخ تريد أن تحصل على نصفي!! الخ عندما أحيض دماً تشمني وتلعق مـــا بين فخذي..!! الخ ماذا علي أن أقول.. أي.. أي.. أعرف.. مرات كثيرة.. لا أحـــب أن أنـــام معهـــا.. تحـــب هي.. كما لو كنت مجرد لحم.. لم يكن لي أحســـاس بـــأي شي، تطير هي.. تبحث عن ساقي مرة قهرتني.. جعلتني أفتح نفســـي.. تـــريد ان ترى امعائي!! الخ.. قالت لي ستعطيني حلوى، لديها علبة كبـــيرة مـــن الحلو.. فعلتها.. من الخلف.. جعلتها تدخل أصبعها.. ثم.. أطلقت جيفة!! الخ.. تحبني تحت رقبتي.. الظلام يجعل منها سعلوة!!.. الخ لا تريد ان تسمع اكثر.. الخ الخ.. مع شرقية.

- قلت شرقية؟

- لا لم اقل شرقية.

- سمعتك تقولين شرقية.

- لا لم تسمعني اقول شرقية.

وأكد الطبيب الجديد.. نعم سمعتها تقول شرقية!!

ودخلـــت شرقية لم تلقي التحية، أنها لا تعرف أن تلقي التحية اشار عليها الطبيـــب أرســـلان أن تجنـــس، لم تفهم، أجنسها الشرطي "أبو كاظم" من جهة الكتف طبعًا أصابع غليظة ضاغطة، صلبة لا تشبه على الاطلاق أصابع الدكتور

ســـليمان.. ودخـــل أحدهم نظيف تمامًا حتى من شاربيه.. وهمس بأذن الطبيب أرسلان إلا أن هذا الاخير لم يبادله الهمس فاجاب بصوت مرتفع.

- ليس الآن، لا، علي أن أنهي جلسة تحقيقية.

تردد الرجل النظيف وتصنع الطبيب أرسلان المسؤولية..

- هناك كوارث تحدث هنا.

وعرفـــت شـــرقية أنهـــا بورطـــة وأرسل لها الطبيب أرسلان كرة محققة وبأتجاه الهدف مباشرة.

- حديثيني يا شرقية ما ألذي يجري في غرفة الجنيات.؟

ماذا تقول شرقية ؟

هل كان ضروريا التحقيق مع زينب.. الصغيرة

قاطعها الطبيب أرسلان قائلا

- هل كانت زينب.. صغيرة؟

هـذا التلميح لم يكن مرغوبا من قبل الطبيب الجديد القادم بقوة التصديق وشـعر برغبة موجعة للتدخين لولا ذالك اللسان الصغير من الكارتون الأبيض المصـقول الـذي قـال له بعلامـة (×) إن التدخيـن ممـنوع.. وبات الحزم والأنـزعاج..علـى المكـان كله نظرت شرقية إلى (زينب) التي مازالت تمسك الكـاس الزجاجـي الفارغ من العصير بين كفيها، تأتت (شرقية) ولم يطاوعها لسـانها، أنها فقط ترغب بالبكاء.. أن تبكي وتدخن أو تدخن ثم تبكي.. إلا أن الطبيـب الجديد لم يقاوم، نهض بارتباك وذهب إلى ركن بعيد وأخرج سيجارة وسـيكون مـن الطبيعي أن ينظر نحوه الطبيب أرسلان نظرة مشوبة بالخطر وكأنه يضع له علامة صفر في كراسة أمتحانه.. وحول وجهه البارد، المختقن غضـبا.. يعض حافة شفتيه ويلحس الدماء النافرة تحت جلدة شفتيه المتوردة مصبوغة بالرفاهية وقال بصوت لا مهرب من الاصغاء اليه:

- أسـمعيني يـا شـرقية وقولي كلامك كما لو كنت وحيدة مثل وردة في صحراء

وعرف الطبيب الجديد بان أرسلان هذا.. شيئا خطيرًا.. أنه داهية بل أكثر مـن داهـية وردد في نفسه وردة في صحراء يا للشاعرية وشعرت (شرقية) بانها مطالبة بالكلام وسهل لها الطبيب أرسلان الأمر.

- قولي لي يا (شرقية) ما هي علاقتك بفاتن؟

هـــي.. فاتـــن هـــذه كنـــت أعرف لقد كنت حية، طليقة، صاحبتها مع أخريات، أعرفها وأشتقت اليها، ولكن.

-ولكن ماذا؟

- لا أريد أمسها بكلامي.

وشـــعرت (شـــرقية) بأنهـــا مطالـــبة بالكلام..وشكت أحدى قدميها بقائمة الكرســـي ورغبـــت بـــأن نفتعل كلاما لايفهمه أحد. أنها معتادة على أن تفعل الأشياء لا أن تتكلم.. إلا أن (زينب) التي كانت تشعر بأنها متفوقة على شرقية الآن وأنهـــا الآن مركـــز أهتمام الطبيب أرسلان وصاحبه الفتى الطويل الانيق والنظـــيف حتى من شاربيه.. سرعان ما أخرجت هواءً من فمها و لسان حاله يقول:

- هل أدري لكم أنا ماذا جرى؟

وعـــم صمت مفاجيء.. وتكلمت عيني الطبيب أرسلان قبل فمه بأن نعم، إلا أن شرقية اعترضت بحركة من رأسها وسارعت إلى الكلام

- لا، إنهـــا، أعني أن.. فاتن.. صحيح، أنها نريد. أنها دائما تريد، ترغب بـــأن تكون من جني آخر، أنها بحاجة إلى مساعدة، أنا أعطف عليها.. تصبح مجـــنونة تماما.. إذا ما بقيت جمرتها مشتعلة.. أخاف عليها من نفسها أن ذلك الشـــيء يخـــدر حواســـها.. إنهـــا تبكي.. وتتألم ولا أ عرف ما أذا كانت تكره نفسهاأ م لا هل كان ذلك ذنبًا؟

ثـــم وقفـــت شرقية وقد أصبحت ساخنة تماما وتشعر بالعرق يدبق نهديها وأمـــرها الطبيـــب أرســـلان بأن تجلس بحركة حازمة من رأسه الصارم وفمه

الأبيض المزموم إلا أن الطبيب الجديد توجه إليه قائلا
- دعها تذهب أرجوك

وقــبل أن تسمع أجابة الطبيب أرسلان اخذت شرقية بالتفكير بأنها مجرد خنفساء صغيرة في علبة كبريت داخل أحدى جيوب الدكتور سليمان.وأنها الآن تــرعى داخــل نفسها غير منفتحة على أحد وأن كل ما ترغب به هو الحصول على جحر صغير ومناسب يسا عدها على الاندساس أبعد في عمق ظلام جميل لا يزعجها فيه أحد حتى ولو كان ذالك هو شرقية نفسها

مــازال المراقــب عفــتان مراقبًا حتى بعد أن أبلغه السيد المدير مايلي: عفــتان..أنــت مقررا عليك الإقامة الجبرية داخل المستشفى سوف لن تستطيع الخروج من بوابة المستشفى إلا باذن مكتوب وموقع من قبلي.. والآن.. عليك ان تنفذ الأوامر وسوف يبلغك الدكتور أرسلان بعض التعليمات الجديدة فاذهب اليه.

ومــا كــان المراقب عفتان سوى الإذعان للأمر، خرج باحثًا عن دراجته الهوائــية ناسيا أين تركها. بحث طويلا بعينه اللتين لم تعدا تريا شيئا انه ينظر ولا يــرى.. وعــندما أصــابه الياس قرر الذهاب مشيا سالكا المساحة الخلفية مبــتعدا ما أمكنه ذلك عن كادر المستشفى..أنه يرغب أن يمشي وحيدًا يساعد ذهــنه المكــدود الخارج من نقيع الخمرة المغشوشة أن يفكر ولكن ما جدوى التفكــير بعــد ذلك.. فعندما يقع الفأس بالرأس لم يعد بالتاكيد هناك مُخُ يفُكر.. شــعر بأنه مرهق تمامًا وأن منيته بجواره بل وعند حافات قدميه.. هناك كمية مــن الهــواء تتناقص في منخريه.. إلا ان عليه أن يبرهن عبر طاعته العمياء أنهــم ربمــا يكونوا مخطئين بحقه لقد عمل طويلا في هذا المكان.. ونزع عن نفســه كــل حساســية آدمية تشعر الخطر أزاء المجانين أن الاطباء يعاملون المجانين من الخارج.من بعيد وعلى مسافة من نظاراتهم الطبية. إلا أنه عفتان المراقــب الوحــيد الذي يستطيع أن يتعايش مع المجانين من الداخل ليس من الســهولة تــرويض النمرة هناك حالات تعرض لها كانت جديرة بالقضاء عليه تمامــا.. والآن وبســبب أم حسّــان وغباوتها وعدم صلاحيتها حتى لارتكاب

الخطيــئة.. يـــا إلهـــي.. كم هو صعبا أن تكون أضحوكة.. أنه يفكر غالبا بأنه رجـــلا لا يشـــبه غيره.. رجل حاذق (انني خارج كل كمين) ولكن هاهي الأيام تفعل ما تريد.

وعـــندما أخـــبره الطبيب ارسلان بأوامره بخصوص الدكتور سليمان شعر بـــأن هـــذا الأمـــر كمـــا لـــو أنه دبره بنفسه وأخيرا سيصبح الدكتور سليمان كالآخريـــن.. ذهـــب بركضـــة الـــبريد إلى ردهة الرجال ودفع الباب الحديدي المـــوارب قلـــيلا لغرفة الدكتور سليمان ووجده نائما داخل سريره و عددا من الكتـــب مطـــروحة إلى جواره هزة بكفيه بعنف وقبل أن يفتح الدكتور سليمان عينيه قال له المراقب عفتان:

- عـــندي أوامـــر بإخلاء غرفتك فورا وسوف أقذفك مع آخرين في غرفة عمومية.

جلـــس الدكـــتور سليمان في حضن سريره وبقي سا هيا بعض الوقت، ثم ســـرعان ما أستعاد كلام عفتان الوغد.. وعرف أن ساعة الصفر قد حل أوآن قـــيامها.. ومـــاذا أبعد كل هذا، يخربون عشه الوحيد في هذا المكان.؟ وقال له كـــلام لايـــتذكر نصـــه إلا أن عليه خلال يومين أو ثلاثة ايام أن.. يكون جاهزًا للانتقال وخطر لللدكتور سليمان بأن يعترض على هذا التصرف المشين بحقه، أنـــه علـــى الأقـــل يحمـــل شهادة أكاديمية في الفلسفة والعلوم الإنسانية.. أنا الدكـــتور ســـليمان الذي لطالما كنت عنيدا ومتطرفا و لا احد كان يجرؤ علي.. صـــحيح أننـــي أعلنـــت موت الجامعة ولكنني مازلت على قيد الحياة.. عندها أنتصـــب علـــى قدميه وفكر أن يمشي داخل غرفته المربعة.. يمشي باستقامه ويلمـــس الجدران.. إنه يفكر غالبا عندما يمشي يفرغ الغضب والتوتر النفسي

الــذي يحــل في أعصابه في مثل هذه الأحوال   لم يكن مزاجه يسمح له بأن يلـــبس نعاله البلاستكي المتيبس فأخذ يمشي وهو حافي القدمين.. يفكر بالأيام التـــي عاشها طويلا بين جدران الجامعة وكيف أنه كان يحاور تلاميذه ويصوب وجهـــات نظرهم عن الوجود والعدم والمعنى واللغة والحرية والسؤال والرعب والخـــير والشر والفضيلة والعلم والوضعية والجمال والاسلوب والشكل والأداء والتمـــثل والتمثـــيل والمـــناهج والمذاهب الفكرية والتيارات الأيدولوجية عن الســـلطة والمعـــرفة وعن القناعة والسيادة والكيان والنص والاختلاف والجدل والهشاشة والمعنى والمبنى وعن العقبات المعرفية والتحولات الكلية والثورات العلمـــية والصـــدمات النفســـية وعـــن قوة الهامش والمغفل والمسكوت عنه والمـــروي من بعد واحد وكيف ان الانسان تم تفكيكه وتعريضه للانقراض.. إلا أن هـــذا كلـــه إنما سيؤدي الى نهاية اسطورة الجامعة.. فاذا كانت الحقيقة لا معـــنى لهـــا فما فائدة المعرفة بعد ذلك سيكون كل شيء محسوما إذا ما تعادل الوجـــود مـــع العدم.. ستكون المعرفة الحقة هي النسيان والصمت والهجران ألارادي للكـــلام المفكـــر به الذي سيكون نقصا على نقص وفراغ داخل مسطح إلا أن (حـــامد الرســـام) لا ينســـى عادته المزعجة في زيارة الدكتور سليمان وعندما دخل الغرفة كان الدكتور سليمان يقول بصوت مرتفع :

- كـــان علي أن اقتل نفسي بعد أن أحرقت الجامعة   وكان هذا سيكون الدرس الاخير في المعرفة

عندها قال له (حامد الرسام)

- مساء الخير دكتور

توقـــف الدكـــتور سليمان عن الكلام وجمد في مكانه ورسم ينظره خطًا

وهمـــيًا يسير بمحاذات حامد الرسام ويصعد فوق سور المستشفى الكونكريتي البعـــيد.. ثـــم ينحنـــي خارجا ليدخل غرفة الدرس.. ويتمحور حول صف من الطلـــبة بملابس موحدة اللون.. كان حامد الرسام جالسا في الصف الاخير إلى جـــواره (مـــنى ابنـــت الصـــيدلاني) وحينها عرف الدكتور سليمان ماذا يجري حوله.. وقال شخصا آخر كلاما كهذا :

- أنه أنت أذن.. أنت لاحامد ولا رسام ولاهم يحزنون

- ماذا، ماذا تقول يادكتور

ومـــد الدكـــتور سليمان يديه وقبض على المقعد الحديدي الذي بلا مسند ورفعـــه بكـــل مـــا تبقى لديه من قوة وقذفه صوب حامد الرسام ولولا أن من صـــفات حـــامد الرسام الخفة والنشاط وكثرة الحركة وحب التنقل.. لصور لنا الدكتور سليمان قتيلا ولحدثت كارثة حدث عنها ولاحرج.

- يا لهم من متآمرين أوغاد

وســـقط الكرســـي جانـــبا.. وتفجـــرت ضجة أخرى لا مثيل لها في رأس الدكتور سليمان الذي شعر بأنه بدأ يتهدم وأن أعضائه على وشك السقوط أمام ناظـــريه.. مـــثل لعـــبة الكترونية ذات أعضاء صناعية مرقمة يمكن لأي طفل صـــغيرأن يفككها ويعيد تركيبها لتصبح أي شيء آخر أي شكل آخر أي معنًى آخر سوى أن تكون ذاتا مركزية أو شخصا بعينة تماما أن اللعبة هي اللاأحد.. مطلقا لا أحد.. حتى لوكنت أنا.

لا تكـاد تختلف (أم شداد) عن (أم حسان) بشيء فالسواد الذي يطلي قامة أم شـداد هو نفس السواد الذي عاش طويلا على قامة أم حسان حتى انكمش وذبل ويأس وتبسم.. إلا أن وجه (أم شداد) ذلك الوجه الطويل الذي يرفعه أنفا طويلا هو الآخر يساعد الحنك على السقوط أرضا هو من نوع الوجوه التي لا تتغير ملامحها مهما تغيرت حالاتها النفسية وأن أول أعمال (أم شداد) التي تركـت بصماتها الواضحة على ردهة النساء هو تخريب غرفة الجنيات والعبث بالماصـول هذا مايمكن معرفته بسهولة ما إن طلبت (أم شداد) من شرقية أن تحـزم حاجـياتها الخاصـة ورفـع المرآة الصغيرة المليئة بالجروح عن ياقة الكوميديـن الحديـدي السـيء السمعة وسمحت (شرقية لنفسها أن تنتزع ما يسـمى مجـازا بمـلاءة السرير.. وبسطتها على بلا ط الغرفة وانتزعت رتاج الكوميديـن الحديدي.. وأخذت تجذب ملابسها المدعوكة دون أن تنقض عنها الغـبار، قطع من ملابس داخلية مهترأة، البسة حريرية من الزمن البائد.. قطع مـن الحلـي الكاذبة، زال لونها وتكسرت معاصمها.قصاصات جرائد ومجلات قديمـة لمحت أم شداد صورة مدعوكة لعبد الحليم حافظ وأخرى لفاتن حمامة وصـور شـبه عارية لعارضات ازياء ملونة وباهتة. كانت (أم شداد) تراقبها واضـعة أحدى ساقيها فوق السرير الحديدي، وقفة حازمة، متطلعة بعمق إلى شـرقية التـي كانت تقعي على قدميها منحنية قليلا راسمة وضعا بائسا لفتاة غاضـبة تلملـم حاجـياتها دون أن تعنـي ذلك، أن شرقية بالفعل تنتظر أمرا مغايـرا.. أنهـا لاتصـدق بأنها تطرد الآن من منزل الجنيات لم يحدث قط أن

تعرضـــت لموقـــف كهـــذا.. لـــم يحدث لها مطلقا أن غادرت هذه الغرفة كان التعاطف معها واضحا.. ورغبت أن تسأل (أم شداد) السؤال التالي:

- وماذا عن نزهتي اليومية

إلا أن مســـؤالا كهـــذا ربمـــا ســـيذكر الآخرين ويلفت انتباهم إلى نزهتها اليومية المعتادة لقد أنقلبت الأمور واختلطت الاوراق ولم يعد الدلال ممكنا

أصبحت صرتها جاهزة الآن ودفعتها (أم شداد) من كتفها وعندما أصبحت شـــرقية خارجـــا ممـــا مكـــن (ام شداد) على المشي بمحاذاتها تماما.. تنبهت بســـهولة أمرأة في الأربعين أن هناك جسدًامستعملا من فترة ليست بالقصيرة وغالـــبا ما يكون جسدًا كهذا مدفوعا الى الخارج ومجسما كفاية حيث أنبعاج مؤخـــرة (شـــرقية) واضح للعيان وذلك التقوس الظاهر في مسطح الظهر عند مفرق التلاقي مع الردفين يترك انشدادا واضحا وليونة انثوية.

- جمالك ساحر دهر يصيبج

وجفلت (شرقية) وأحمر وجهها وأجابت بعجالة الأطفال

- لا.. ماعندي شي.. هذا أكل ونوم..

وعليها الآن أن تنام إلى جوار أخريات، مريضات، مفحخات ،غير مباليات بـــأي تحســـس في الغرفة الجديدة وهي غرفة ممسوحة وليس فيها الكثير من الـــنوافذ وأدركـــت شـــرقية حينها أنها أنما تدخل للمرة الأولى حقا إلى ردهة النســـاء وحصـــلت علـــى ضـــربة شديدة من إحداهن رفضت بجنون أن تنام (شـــرقية) في السرير الفارغ المتروك إلى جانبها عندها ذهبت (أم شداد) تقدم تقريرها إلى الطبيب (أرسلان) وهكذاتمت الخاتمة الحزينة لغرفة الجنيات.

والماصول مازال يطلق نحيبه ويحن الى رؤية الشيطان من الخلف.

بالــرغم من أن الطبيب أرسلان مضى فترة طويلة في هذا المكان.. إلا أن الاوقــات المحبــبة لديــه هــي فترة الراحة لما بعد الظهيرة وستكون الراحة معدومـــة كلــيا فـــي هــذه الظهيرة في البهو الداخلي لدار الاطباء وهو يبتلي بصــحبة الطبيــب الجديد (مشتاق) الذي لم يكف عن الاعتراض ولامرة واحدة علـــى كــل كلمـــة يدلـــي بهـــا أرســـلان أنه سجل أعتراضه أولا على طريقة الاســـتجواب القاسية لزينب وادعاناتها المغرضة على (شرقية) و(فاتن).. كما نـــه بالطــبع على دراية بأن هنالك مسلكيات منحرفة لم يعترض عليها الطبيب مشتاق مايكفي لأن بجعل من أرسلان يتواصل معه كما أن الكلام الذي تفوه به هــذا الاخير يكاد أن يكون أقرب إلى العقاب منه إلى العلاج.. ولقد قال الطبيب مشتاق.

- أن الســـيد لا يفــرق بيـــن السوط والوردة بل العقل المتحضر هو الذي يستطيع أن يفعل ذلك

ولم يجبه (أرسلان) بشيء إلأنه عرض عليه أن يتناولا الشاي في غرفته الخاصـــة هــناك ممـــر داخلـــي قصير يدس انفه إلى اليمين من بوابة المدخل الرئيســـي وأخــرج أرسلان حزمة من المفاتيح تنهي بتمساح بلاستيكي وجعل التمســـاح يخرج ذ يله من بين أصابعه الرقيقة جدا والتي تصلح للمصافحة لا للعمـــل، لم تكن غرفة أرسلان واسعة كفاية إلا أنها مرتبة جدا وتكاد القشة أن تجنب نفسها تلقائيا عن المكان الخطأ أن حدث وان وجدت فيه..

على مكتب خشبي صغير هناك كتب ضخمة مرتبة بعناية ويمكننا أن نعثر

علـــى تلفـــاز حقيقي من الحجم المتوسط مركونا على كوميديان حديدي مزجج مـــن أسفلة ويلفت أنتباهنا صورة مرسومة بالألوان(لسيغموند فرويد) بنظارته الدائـــرية ولحيته النصفية ووجهه العابس الجاد اكثر مما ينبغي حصل مشتاق علـــى جلسة مريحة في حضن كرسي أنيق ذا مسندين راحت ذبابة ترقص على أنف فرويد وتسقط على حافة الأطار الخشبي ثم تعاود تمرينها اللذيذ بنشاط لا يخلـــو مـــن خسارات وكادت أن تحصل على سقطة قاتلة عندما قال (مشتاق) وهو يدلل سيجارة جديدة بين أصابع يديه ويعصر التبغ المكبوس في جوفها

- لا أكاد ارى أي أسلوب منهجي في التعامل مع المرضى هنا..

- لست افهم

هكـــذا يدعـــي الطبيب ارسلان عادة.. عدم الفهم لا بمعنى التصورالحقيقي لعـــدم الفهـــم أو التواضع المعرفي بل بمعنى قصور الآخر، المتكلم وعدم فهمه هـــو علـــى الأغلب، لقد ورث هذه العادة من برفسور مميز مشهور عندهم في الأوســـاط الجامعـــية أنه شخصية تبالغ في تنظيم نفسها يراه غالبا وهو يلقي محاضـــرته يـــتكلم لغـــة خاصة، مسترسلة حيث تدفع الكلمات الهواء بانتظام إعجـــازي ويكـــاد يـــربك السامع بلهجته الحازمة في التطرق إلى إي موضوع وعندما يرسل إليه أحد الطلبة سؤالاً يجيب أولا لست أفهم ثم يسخر من السائل باسلوب محنك قائلاً:

- لســـت أعني ما هو الفرق بين الطماطم المطبوخة وتلك التي ينبغي أن ترقد مؤقتا في طبق السلاطة الست كذلك أيها الولد المدلل من قبل أمك العالمة في علم دلالة المطبخ..

يضحك الطلاب عادة إلا أنه لا يضحك ذلك البرفسور الغريب ولكن الناجح الـــذي يـــرتدي بدلته دائما حتى لو أنفجر الصيف وتحولت الشمس إلى العيش

داخـــل رؤوس الـــناس.ومـــن المضـــحك المبكي في ذلك البروفسفور أنه في المناســـبات السياسية للحكومة ياتي إلى الجامعة وهو يرتدي ملابسه الزيتونية ويتخصـــر مسدســـه المطلـــي بالنيكل الأبيض اللماع ثم ياخذ بألقاء درس عن أهمية التصعيد الجمالي في التحليل النفسي

- لست أ فهم تلك هي سر المهنة

إلا أن (مشـــتاق) كان يفهم جيدا وهو على دربه كافية ولا تحتاج إلى زمن طويل بمعرفة ما يجري هنا، غالبا ما يكون التعايش مع المرضى داخل تسارع الوقـــائع والأحـــداث والحالات والأزمات المباشرة.. هو الدرس الحي.. الدرس المعـــاش لتجربة المرض مع آخرين أن مشتاق يعرف ودونما أي التباس.. أن الجنون هو دائما شيئا آخر، الجنون.. دائما هناك.. عند الآخرين إلا أنه لايمنع أن يكـــون هـــنا، فـــي دواخلـــنا الغريـــبة، الغمامضة.. ولكن دخول (أم شداد) بملابســـها السوداء الداكنة ومشيتها الذكورية الحازمة.. ورغبتها للحديث مع الطبيـــب أ رســـلان في الصالة الخارجية.. على أنفراد طبعا. جعله يحدس أن أمـــرًا مـــا لَيس على ما يرام كان قد حدث.. أن الأمور السيئة أقرب أنواع الأمـــور حدوثـــا عندما تكون أسلحتنا الفكرية فاسدة لا يستطيع العقل أن يكف عـــن الـــتدخل دائما.. تخريب الجمال النئ، الرافض للعبودية المقيتة والمنطق أكـــثر قـــيودها سيادة.. وسمع صرخة لا تخلو من أر ستقراطية قفزت من فم الطبيب أرسلان وموسقتها قاعة الصالة الخارجية المفخخة بالصدى.

- ولكن.. هذا مستحيل.. مستحيل

وتمنى هو أن يخبر الطبيب أرسلان قائلا

- لا مستحيل هناك، على الاطلاق لا مستحيل

كـــان على (شرقية) أن تلتزم الهدوء والصمت في سريرها الجديد الذي لم يكـــن يتمـــتع بأية خصوصية داخل باحة قذرة وسط نساء لا مميزات لديهن لا وجـــوه ولاملامـــح كافية لم تعد ليالي غرفة الجنيات ممكنة التكرار، لقد ذهبوا بالصـــغيرة زينـــب بعيدا كما أن (فاتن) ما زالت محشورة هناك داخل قضبان لا حصـــر لها، ولملمت (شرقية) ساقيها داخل بطانيتها الثقيلة والتي تبعث رائحة أجساد متعفنة ولى زمانها.

أن الصـــمت يلحس خلايا ذاكرتها ويطل فانوسا مسخما من وجنيته.. في غـــرفة (الزوجة) وتسمع في تلك الليالي، الغامضة، صوتا لاهثا.. لرجل غريب ســـيكون هو رقمًا جديدًا، آخر، يحشر نفسه هناك ويترك ظله لمشيئة الفانوس وهـــو يشرب سخامه ويرسم ظلاله الباهتة على الجدار الداخلي للغرفة التي لا بـــاب لهـــا.. وبالطبع كنت أشعر بأن هناك سرًا لا بد داخل عتمة اليل بحياتنا.. ماتت أمي وهي تحسب على أصابها الخشنة العام السابع عشرمن عمري ماتت نتـــيجة أهمالهـــا المتعمد لرئيتها.. وذهب والدي لبيع الدكانة الصغيرة ألتي في نهايـــة الشـــارع ويتفرغ سريعا لينفق نقوده في دكاكين ألخمرة أنه أيضا لا يـــبالى.. لقد عرفت بعد أسابيع قليلة على وفاة أمي بأنه كان متزوجا أصلا من أمرأة أخرى.. وعرفت سر سؤال أمي وعراكها الدائم بخصوص المال (أنت لا تقول أين تذهب نقودك؟).. وعندما كان أبي يصل في وقت متأخر من الليل

غالـــبا ما يقوم الرجل الغريب بمساعدة (الزوجة) على حمله إلى أريكة جانبية تحـــت الســـلم الحجـــري يشـــخر هـــناك.. ولم يطل الوقت لاقدم أنا المساعدة

المطلوبــة لا لأبــي بــل لزوجته الشيطانية الرائعة،كانت تدخل علي (الحمام) ظهــرًا، وتأخذ بتدليكي وهي تتغزل بثروة جسدي.. عندما جاءت لي ذات نهار بملابــس جديدة، تنورة قصيرة تقفز فوق الركبتين وبلوزة مطاطة يمكن لي أن أرفــع أي جــزء فــيها فأخرج مساحة كافية من ظهري أو اجذبها إلى الأمام فــيكون صدري مكشوفا ونافرًا ولا رادع له.. (الحاج مسعود) كان أول محطة لــي وهو رجل سمين يرتدي دشداشة بيضاء ناصعة ويضع كوفية بيضاء هي الأخــرى على قحفة رأسه الأشيب فتنزل متهدلة من جانبيها وخالية من العقال الوبــري. تركتنــي هــناك مــتذرعة بذهابها العاجل إلى السوق عندها قال لي ســنذهب إلى الداخل لئلا يروننا الناس (الناس لا يرحمون، أعوذ بالله) وعندها وقــع بصــري على غرفة صغيرة بسرير لشخص واحد إلا أن الصورة الكبيرة الموضــوعة علــى الجــدار هي ما ثارت أنتباهي وجعلتني فورا أشعر بالعري كانــت صــورة لفــتاة بالمقلوب رافعة فخذيها عاليا ومستعدة لادخال الأشياء والجدران ومصابيح الأضاءة داخلها.. وعندما أجلسني على السرير أخذ يمرر يديــه الخشــناويتين على شعري وأدخل كفة يدغدغ لي ظهري ثم سرعان ما دفعنــي إلــى السرير إكثر وأبصرت حافة لباسة إلداخلي الطويل ومشهد بطنه المكرشة المشعرة وعرفت أن علي أن أفعل شيئا.. إلا إنني لم أكن أعرف كيف أهــدأ قلبي الصغير الذي كنت أخشى أن يخرج من فمي.. إلا أرائحة الدبق هي التــي حركــت حواســي وعرفت أنني أنام تحت آخر.. وأن لا شيء يمنع من الاستســلام لهــذا الــرجل المرتبك، المهزوز والذي سمح لنفسه أن يجثم على بطنــي ويعتصــر نهدي بشراسة طفل، شرير.. وعندما حضرت (الزوجة) كنت أريــد أن أصل إلى البيت سريعا لأعرف ماحدث لي.. وفي الحمام شعرت بأني

مقســـومة إ لـــى نصـــفين وأن طعمـــا حامضا على شفتي   عندها قالت لي (الـــزوجة) لقد كبرت وصبرت ونلت.. وأرتني رزمة من المال في يديها وقالت لـــي.. ساذهب لآتي بالدجاج المطبوخ، والمحشي، من الآن فصاعدًا أريدك أن تاكلي كثيرًا ويسمن جسدك ويحرج عدونيك

مـــاالذي كنـــت.. أرغـــب به.. أكثر من هذا، أن المراة دائما مدللة وهي مشروع لا منافس له بالنسبة للرجال.. وقالت لي (الزوجة) ذات مساء

- ســـيكون لك مستقبلاً رائعا بهذا الجمال، المرأة التي تمتلك الجمال تملك الحياة.. وفقط الذي يموت يخسر

الخنفســاء الجميلة الرائعة يطلق سراحها من علبة الكبريت وتستقر داخل العلــبة الزجاجــية التي أكسبتها مظهرًا حضاريًا.. لاأحد يستطع أن يقدر حجم الســعادة ألتــي حطت في نفس الدكتور سليمان وهو يحمل خنفسائه الجميلة، الــرائعة داخل هذا الأناء الزجاجي الذي سرعان ما تلقفه حامد الرسام من يده وأخــذ يــذرع به الغرفة مدندنا لحنًا موسيقيًا سريعًا ويعبر بحركة أقدامه عن رقصــة ظافــرة ويشــاركه الدكــتور سليمان هذا الطقس الجميل، المفاجيء وأتجهــت انظارهمــا صوب رف مشغول من أطار خشب اثري للوحة محطمة معلقا من كتفيه العريضين نسبيا ومعززا بمسمارين جانبيين.. وعندما أستقرت العلــبة الزجاجية في مكانها المرتفع قليلا.. شعر الدكتور سليمان بالانتصار.. وقــال بصــوت رخيم يذكره بأيام الجامعة عندما بدأ في القاء محاضرته الأولى فــي الســاعة الأولى من صباح الجامعة يكون صوته متهدجًا وتصبح الكلمات عصــية عن القذف.. وبعد أن يحرك ذهنة قليلا يتحول صوته إلى نبرة رخيمة كما لوكان مطربًا يدوزن أوتارة الصوتية.. بذات المعنى تلفظ بالعبارة التالية:

- ذلــك هــو الوضع المناسب الذي ينبغي للخنفساء الرائعة أن تكون فيه لــيس مــن العدالة طبعا أن يسيء الراي العام لهذا النوع من الأهتمامات ولن أســامح مطلقــا ذلــك الطبيب الأرعن الذي لايقدر مشاعر الآخرين ولايحترم ميولهم الخاصة وهواياتهم الشرعية

ولم يرغب حامد الرسام أن يبقى صامتا فاجاب

بالطــبع.. أن هــذا ينطبق على روح الرسام أيضا ساكون محرجا فيما لو

رسمت خنفساء بل عدد كبير من الخنفساءات وقدمتها في معرض شخصي.أن الابـداع هـو هواية خاصة.. وكل ما يتوصل إليه الابداع فهو مشروع.. اليس كذلك.

بتهجـير الدكـتور سـليمان مـن غرفته الخاصة أثر التغيرات الجديدة والعقوبات الجادة من قبل أدارة المستشفى لم يكن أمامه غير تلبية دعوة حامد الرسام.. في السكن معًا بالطبع أن غرفة حامد الرسام تقع في الردهة الخاصة التـي كان الدكتور سليمان نزيلا فيها لمدة طويلة، فتستطيع العثور على زجاج حقيقـي يرتدي النوافذ وعلى جدران جديدة مصبوغة بالابيض وعند الوصول إلـى الغـرفة المؤملة، نحصل علىفناء د اخلي واسع في أرجاءه ولكن دائمة الاكـتظاظ بالأشـياء نسـتطيع العـثور فيها على عدد لابأس به من الأطارات الخشـبية والاقمشـة وأواني الأصباغ الملونة والمغرية تعطيك أنطباعا لا شك فـيه بأنـنا نسـكن مرسـمًا وما أن دفع حامد الرسام الباب الحديدي المصبغ والمبقع حتى صرخ قائلا

- أخيرًا أجتمعت العبقريات سوف ندخل التاريخ من أتعس مكان فيه وهو غرفتي الصغيرة الرائعة طبعا.

ودخل الدكتور سليمان بحركة متثاقلة تعيقها حمولة من الكتب المضغوطة داخل كيس من النايلون الاسود وطرح حمولته أرضا وأنتزع علبة سجائره من جيبه ومد سيجار ماهي إلا أصبعًا سادسًا مصوبًا أزاء فم حامد الرسام أن هناك شـيئا مـا يشـغل بالـه.. وسرعان ما وقع بصر الدكتور سليمان على قنينة زجاجية موضوعة على حافة النافذة وقد زرع بداخلها فرشة أسنان مستعملة ، ثبـت بصـره علـيها بسـرعة وجاراه حامد الرسام بنظرة موازية ولم يمهل

الدكتور سليمان وقتا لكي يفكر، أخرج علبة الكبريت الصغيرة من جيبه الأيسر وتحرك كما لوكان طفلا يسير صوب العلبة الزجاجية وصاح

- وجدتها، وجدتها

وبقـــي حامد الرسام مذهولا بعض الوقت ثم ضحك وهو يشاهد الخنفساء حـــية ترزق مرة أخرى إلا أن الامر لم يكن شرعيا عندما دخل عفتان الذي لم يعـــد مراقـــبًا إلا بفعـــل العـــادة ولكنه الآن نزيلا أجباريا لن يكون من الصعب ملاحظة مظاهر الأنكسار على وجهه الغريب القاسي ولم يحدث دخوله مفاجئة واضـــحة لدى كل من الدكتور سليمان وحامد الرسام بالرغم من أنه كان يرسل نظرات عدائية صوب الدكتور سليمان ولم يلق التحية حتى بل دخل متحررا مـــن أي اســـتئذان. تجول مثل بغل عنيد داخل الغرفة وبالطبع أنتبه سريعا إلى الخنفســـاء الســـوداء الـــرائعة في منزلها الزجاجي، الجديد ثم.. زرع ابتسامة صـــغيرة، ماكرة على شفيته وسرعان ما زرعت الابتسامة ذاتها على فم حامد الرســـام ومـــع قليل من الصمود والمكابرة انسحبت ابتسامة أخرى على شفتي الدكـــتور ســـليمان.. وأحدثت فتحة صغيرة في زوايا فمه ثم سرعان ما اطلق عفـــتان ضـــحكة خفـــيفة مكتومة غير مهذبة بطبيعة الحال، وأشتعلت ضحكة اخـــرى، بريـــئة،على فـــم حامَد الرسام وضحك الدكتور سليمان وأرتفع نوعًا غريبًا من الضحك الجماعي، المشترك.. وأنطلق الضحك يطير حرًا طليقًا داخل الفضـــاء الداخلـــي لمستشفى المجانين في جانب بعيد وقصي من جوانب مدينة بغداد ذالك الجانب.

المســـكون بالجن والشياطين في تلك الردهة الجميلة، المدججة بالجدران الكونكريتية والمعنونة بردهة(ابن الهيثم) ردهة السجن.. ومازال يحكي ويسمع

صـــدى ضحكات الدكتور سليمان وحامد الرسام والمراقب عفتان وكان ذلك هو الحـــدث الوحيد والفريد الذي لم يسيئ لاحد بالرغم من أن الضحك لا يخلو من كونه موقفًا في بعض الاحيان.وخاصة عندما يكون بلا سبب!

النزهة المسروقة

بشـــطارة أو بضربة حظ أستطاع الدكتور سليمان أن يفر إلى النزهة كان نـــور آذار مـــنفرطا داخـــل حقول الأثيل المصاب بالصلع المبكر.. وكان على الدكـــتور ســـليمان أن يتوارى خلف أشجار البوكالبتوس لكي لا ينبه أحدا إلى نزهـــته المعـــنادة والتي لم تعد كذالك.. وبخطوات مماثلة رحلت (شرقية) إلى حيـــث يرقد المقعد الحديدي الذي كان في الاصل أرجوحة عمومية يلهى بها.. ولا يعـــرف لماذا زرعت له أبتسامة مجهده بعض الشيء وأبتسم لها هو الآخر ووصـــل بمحاذاتها مسرعًا وأمسك يديها وأبصرا معا الغراب الاسود المنزعج فـــوق مبنى نشارة الخشب.. وجلسا والخوف يجلس داخلهما، لم يكن الصمت حقيقيًا ازاء الكلام، المكبوت الذي يفور في خواطرهما، وقالت شرقية:

- سجنوا فاتن

وقال الدكتور سليمان

- لقد خربوا ركني الوحيد في هذا العالم

وقالت شرقية

- سمعت

وقال الدكتور سليمان

- حطمـــوا الـــدورق الزجاجي الذي بحوزتي.. وشردوا الخنفساء الجميلة الرائعة..

وقالت شرقية

- مامن أسباب كافية تجعلهم يفعلون بنا ذلك

وقال الدكتور سليمان

- ألا تعترفيـــن معي يا شرقية بأن الأمور وصلت حدها ولم يعد لنا مكان في هذا المكان.

وقالت شرقية:

- فكرت بذلك

ثم صمت شرقية

وصمت الدكتور سليمان وكان الهواء رخوا يترك أثرا بطيئا على خصلات الأشـــجار المـــتوترة، الفارعة الطول، المحزونة وقال صوتُ في داخل الدكتور سليمان

- لست مجنونا.. لست مجنونا على الاطلاق لقد كنت فقط أعلن اعتراضي

وأطلـــق الغـــراب صـــرخة مبحوحة.. وطار مترهلاً بعض الشيء وقد بدا مـــتوترا ومـــنزعجًا أكثر مما ينبغي وعرف الدكتور سليمان بأن عليه أن ينظم فكرة ما في رأسه و أن شرقية قالت له

- أشعر بالخوف عندما أعود إلى الردهة مرة اخرى

وقـــد كان هناك مزيدا من الخوف في الجولات المحسوبة، القادمة وعرف بأنهم لابدأن يعودوا خلسة إلى الردهات الداخلية المسورة بالقضبان. وقد سمعا الغـــراب يكرر صرخته المنزعجة مرات عديدة.. ولم يكن هذا مطمئنا، وعندها قالت شرقية

- أرجوك لا أريد أن أعود مرة اخرى.. إلى الداخل، لا أريد، لا أريد

وقال الدكتور سليمان

- وأنا كذلك

نهاية متاخرة، جدا

مثل لقلق عجوز، سلم المراقب عفتان يديه الاثنتين إلى القيود الباردة، السليطة وكان النهار يواصل بياضه إلا أن رائحة الدم نفاذة ولافرار منها، أبدى المراقب عفتان مقاومة خفيفة في البلاطات الخلفية المحاذيةلغرفة الطوارىء. أطاحوا به أرضا وقيدوه من الخلف... عرف الحارس (س) بأنه مشبع بالعرق، مخمور حد أنه (طينه) وبذلك التقطوه بأذرعهم الحديدية ووضعوه إلى جانب أثنين من الحراس في سيارة (البيك آب) المسقفة بالحديد... كان مسورا بالأسلحة يحرسه صمت مريب فكر، بندم، بسكينه الأثيرة، المتروكة هناك في مقبرة (الأنغال) وفكر ثانية بأنه كان يتطلع أن يصلح الزمن ما جرى.. نعم كل شيء كان ممكن أن يعاد تصحيحه.. إلا أن الخمرة تساهم باللامبالاة ولطالما تصور نفسه غارقا في كاس صغيرة من الخمرة فكر بـ(شرقية) تلك التي لن يستطيع رؤيتها ثانية، ذلك البياض المصقول.. والتكور المحروس جيدا ولكن السائب في نهاية ما بين الساقين.. عرف جيدا كيف أنه لم يكن سعيدا، لقد كنت رجلا سريا للغاية أن (أم حسان) واحدة من ضحاياي.. كنت أفعل الأشياء بحرية الجريمة ودوارها الغامض اللذيذ إلا أن حركة السيارة ساعدته على الأنتباه قليلا وهي تحرك قفاها و تختض أكثر، شاهد الغراب يعود متزعجا إلى مبنى نشارة الخشب وكانت (يمامه) تطلق نحيبًا وبحة صوتها أشعره فورا بأنه بحاجة ماسة إلى أنهار من الخمرة.. لكي يغتسل فيها قبل أن يموت من شدة الصحو في داخل قضبان رأسه، الكبير الأجوف

كمـــا لـــو أن حـــركة السيارة تخلق أنسكابا جديدا للخمرة في خلايا رأسه

وتجعله يمتص مخاطه في فمه وتتقيء صور عجولة، متفرقة، لزجة ومترنحة هي الأخرى فينظر نفسه منتصبا بذكورية قل نظيرها وهو في عنفوان شبابه.. يجلــد شــقيقته المطلقة في غرفة الضيوف والعائلة تصخب خارجا، بينما تلمم هــي صــرتي نهديهــا وتحــاول عبثا أن تحمي أنكشافا لابد منه في صدرها الواسع، المهجور، مبهور الأنفاس "هو" كان يعاقب أو يتظاهر بالعقاب وعصى الخــيزران تشكل ذراعًا ثالثة تطرق أبواب جسدا، محرما ولكن مشكوك فيه، بيــنما.. أحــدى يديه تضغط على أنحدار الجسد وهروبه من قفاه وتتقلب هي ودشــداتها المنزلية، المتسخة تقفز عاليا وتلحس بياضًا متكدسًا على عمودين غليظيــن يروح عفتان هابطا إلى أسفل باركا على ركبة واحدة ضاغطا بالساق الأخــرى انضــغاطًا شــديدًا علــى ورك ضحيته التي داخت ضربا وأنسفحت اعضــائها تحته.. ينظر بثبات إلى أنفتاح منطقة الصدر واتكاء كمية من اللحم مــدورة قليلا ومرفوعة على أنتفاخها المتورم وحافات أخرى تقاطعه وتعاونه علــى السطوع وهو يردد كلاما يحرص على أن يطلقه بصوت عال.. ياقحبة.. يامطلقــة.. ياعــار عليــنا.. الخ وتكون هي قد أنكسرت تمامًا واستسلمت كليا لحالة الأجهاد والانفتاح الحر لاعضائها المحزوزة، المتألمة، المنكوبة.. وتموء بصوت، ناعس، وتبكي كما لو انها تبلع ريقها ويكون عفتان قد ترك يده سهوا مــن فــرط الغضب على أسفل صدرها ويقلبها على قفاها ويرمق قطعة السواد الصــغيرة المرســومة تحتها ويتبين سببا جديدا إلى أنها تعنى بنفسها جيدا.. وتكــون والدته العجوز قد نجحت في أقتحام غرفة الضيوف وأبعاد عفتان عن أخته، المطلقة، المتهمة دوما بالفجور.. وتهزه مشاعر غريبة، ويذهب خارجا، ويشــرب الخمرة على شارع "ابي نؤاس" في حانة الحمراء مع آخرين متهمين علــيه فكرة الجسد.. وكيف أنه دائما معرضا لغيره وأن الملابس ليست أسلحة

كافــية لابطال الانثى في هذا العالم وأن ذلك الشيء في المرأة هو دائما، كاذب، أومخاتل، ومرتش وأن كيدهن عظيم وشورهن وخالفوهن ولعل صوت قطة في آخــر اللــيل مــا هو إلارجلاً يتنكر وعندما دق الباب ذات مرة.. ولم يفتح من فــوره شعر بأن ذالك هو خداعًا جديدًا.. ولكم كان يتمنى أن يضفر بها حقًا مع آخــروكان غالبا مايتخيل أوضاعها الجنسية ماتت والدته العجوز التعيسه ولم يكــبر عفــتان على ممارساته الغريبة، الشاذة، كان غالبا ما يضرب أخته.بلا ســبب. ويفتح عليها خلوتها الصغيرة العابرة ويفتش أشيائها ويصغي أليهامن وراءالأبــواب المغلقــة وهي تغتسل في الحمام، وهي تستعمل المرحاض. ولم يكــن هناك أي أعتراض في أن يدخلها معه إلى حمامه الخاص آمرا إياها بأن تــزيل الاوساخ عن ظهره وهي ترتعد خوفًا وهلعًا من أوامره الصارمة مذكرًا إياهــا بأنهــا، خاطــئة كبيرة وإنها قد جلبت العار إلى العائلة.. إلا أن جليته بــالفعل.. وأختفت ذات صباح.. وتركته "منكوبًا" تحركت به سيارة (البيك آب) بعــيدًا.. وهــو يرغب بالذهاب أبعد من ذلك سامعًا صوت صخب السيارات من حوــله.. وهو يفكر لو أنه مات مخمورا حينها سوف يموت دون أن يعرف أنه يموت

كما أنه عاش دون أن يعرف لماذا هو حي!

وطلب سجارة بتوسل وأنكسار

وأشعلها له الرجل الجالس إلى جانبه.. وقال له عفتان

شكرا يا أخي

فاجابه الحارس

لست أخيك!؟

الموت الصحي

بعد أيام، أخرى، أضافية من آذار عام ١٩٩١

تجمعوا (عشائر) وخربوا منزل الصفيح الذي يعود الى (أم حسان) هدموه بأيـــاديهم الغلـــيظة وأقدامهـــم العاريـــة فككوا البناء الطابوقي الملصوق بمادة (الجـــص) بقـــوة مئة حصان وأطاحوا يقطع التنك والصفيح بعيدًا. بلاشك، كان مشـــهدًا بدائيًا رائعًا، كانوا قد حملوا (أم حسّان) خارجا أحاطوها بعناية خاصة وطـــرحوها قـــرب مجـــرى القاذورات (أبو مكطوف) هو الذي تبرع بذلك وهو رجـــل شـــهم يعنى بتربية العجول والأغنام ويسلخ جلودها جيدا.. مازال يحافظ علـــى مهنـــته في الرعي.. لا داخل السهول والبراري بل في الحدائق العامة، المتروكة في الساحات الخلفية لمنازل السكان عند تخدوم سكك الحديد المخربة او في الاشواك القليلة المتبقية في باحات المدارس والعيادات الطبيةالمهجورة المهـــم انـــه ما زال يرعى.. ولم يكن مترددا قط وهو يأمر صبيانه بمساعدته اللازمـــة فـــي أمســـاك ذراعي (أم حسّان) وتثبيت ساقيها جيدا.. عندها بسمل وأســـتعاذ وأمســـك فردة شعرها اليابس الخشن وسمع (قرقرة) حنجرتها تلسع سكينه الواثقة.العمياء.

وأرتفعـــت هلاهـــل وكـــبّر الرجال ثلاث مرات.. وشعر كل من حضر هذه الولـــيمة بأنـــه حـــتما علـــى حـــق.. تـــراكض الصبية لرؤية المشهد، وابتعد (ابومكطـــوف) ولمحـــه (حسّـــان) الأبن الأكبر الذي أفسدت تربيته المدارس والجامعـــات وهو يشعر بنفسه مفزوعًا وهلعًا لا تكاد بدلته المحلية المصبوغة بالأســـود أن تلم فرائصه، المرتعشة، المفككة، المنزوعة، عانقوا ال (عشائر) أبـــو مكطـــوف وذهب (أبو زيد) أكبر الرجال سنًا وأكثرهم دراية وحنكة وتطلع

إلـــى (ام حسان) المصورة كجثة بقرة.. مبضعة بعناية ومجزوزة العنق.. وكان هـــناك ينـــبوع من الدم يتسارع ويسيل من تحت رأسها المفصول الذي مازال مربوطًا بخرقة النفاس، وعاد أبو مكطوف لغسل يديه بدم، حي، ساخن، وقال لحسّان.

الله وحده يغفر الذنوب

وكـــان حسان يعرف أن الله لم يعد مسؤولا عنا منذ زمن بعيد وأن الله لا يرضـــى أن تموت أمه لو كانت له أم بهذه الطريقة وهو سيكون منذ هذا اليوم بـــلا إله وبلا أم كذلك وسيدفن نفسه في أعماق مجهول أن سمح له المجهول بذلك

ثـــم أمر (ابو زيد) أحفاده المشوربين حديثا بأتمام الأمر، جمعوا بقايا (ام حسّـــان) وعبؤها بسرعة عالية داخل كيس ابيض للدقيق. حرصوا على تنفيذ حـــركاتهم بخفة ورشاقة متصنعين عدم الاكتراث ورباطة الجأش المطلوبة في مـــثل هذه الظروف وحينها أصطف الجميع دونما أتفاق ليشكلوا موكبًا جنائزيً مرتـــبكا وتحـــركوا صـــوب قرية بعيده تقع خلف التلة الترابية.. باتجاه معامل الطـــابوق المـــتفرقة التي تطلق دخانها الأبيض الغليظ ذلك الدخان الذي لطالما تطلعـــت الـــيه (ام حسّـــان) فـــي ذهابها وأيابها وكان يخدعها غالبا فتتصوره غـــيوما، متفرقة، مهاجره ولكنها غيوم ثقيلة، لم يحدث يوما أن أنجبت أمطارا وعندما أرتقى (حسّان) التلة الترابية عرف لاول مرة.. كم هي المسافة طويلة إلى قريته القريبة، ولعل هذه المسافة زرعت في داخله شعورا غريبا باللاأمان وعـــوت كـــلاب لا حصر لها خلف التلة الترابية غير بعيدة عن مقبرة (الأنغال) وقبورها الخفية، المزروعة سهوا في باطن الارض وفي بطون آخرين كذلك.

وكان ذلك نوعا من الموت الصحي الذي لا غبارَ عليه

خاتمة تقليدية

لمســـافة غير بعيدة كثيرا عن المستشفى وبعد مضي عشر ساعات، توقع الطبيـــب أرســـلان أن الدوريـــة التي بعث بها خلف الدكتور سليمان وشرقية ســـتكون موفقـــة حتمًا في العثور عليهما وذلك نظرًا إلى أن الجنون لا خارطة لديه وهذا ما يجعله معرضا للظهور في كل مكان لقد تصدعت ذاكرة شرقية في الأيـــام الاخـــيرة وشـــاخت ملامحها، كما أن الدكتور سليمان لم يعد قادرًا على الكلام كثيرًا ولعل الطبيب أرسلان على دراية لاشك فيها بأن من ساعدهما على الهـــرب هـــو حامد الرسام.. وذلك ما أكده حامد بنفسه عندما جلبوه عنوة إلى دار الأطباء وكنزيل غير أجباري فأن كل ما يمكن فعله بشانه هو تسريحه مرة أخـــرى وعدم السماح له بالعودة إلى المستشفى وهذا أجراء عادي لا يتساوى مطلقـــا مع حجم ما فعله.. نعم لقد ساعدتهما على الهرب. عصرًا، من السور الخلفي.. بملاحقة كلاب مجهدة، جائعة وكسولة لقد صعدت شرقية على ظهري وقفـــزت إلـــى السور العالي، تكومت على الدكتور سليمان في الجانب الآخر.. وعدت أنا.. أشعر بالراحة التامة..

- ولماذا؟

قاطعه الطبيب أرسلان

- لماذا فعلت ذلك؟

- ليس لدي أسباب كافية أفكر فيها لكي أطلق سراح حرية

وأبتسم (الطبيب الجديد) وقال بصوت مسموع

- لا فرق يذكر بين الجنون والفلسفة.

عــندها شــاعت بين آخرين فكرة هرب الدكتور سليمان وشرقية.. إلا أن الدوريـــة المؤلفـــة من أربعة حراس وقائدهم الشرطي العتيد (أبو كاظم) قد تدخلـــوا وقالوا أن من العبث الذهاب خلفهم فالمدينة شبه ساقطة وهناك ثورة شــعبية وغوغائـــية فيها ومن الخطرأن نخرج لهم ونبحث عن مجانين داخل ألاف من المجانين المدججين بالسلاح.. وفكر أرسلان انهم لابد ينجحون، حتما فـــي العـــثور علـــيهم أن المديـــنة المجاورة للمستشفى، أسوة بالمدن الاخرى معرضـــة للحراسة الشديدة وأن الاوضاع لا تدع أحدا يتجول في الشوارع دون صـــفة رسمية..حتى ولو كان مجنونا وهكذا أنطلقت دورية الشرطة بأسلحتها إلـــى خـــارج المستشفى وكان الغراب يتطلع إليهم من فوق سقف مبنى نشارة الخشـــب وهـــو يحول بصره مرات صوب المقعد الحديدي الفارغ الذي كان في الإصـــل إرجوحة عمومية يلهى بها بينما الأشجارالصامتتة الواقفة تترك داخل المكان هجرانًا غامضًا وخواءً بعيد الجذور للكائنات الراحلة الممسوحة الوجود

وهكذا سأل الشرطي (أبو كاظم) الكثير من فرق الحراسات المنتشرة هناك على طول شوارع المدينة. كان يتعرف من بينهم على زملاء آخرين له يبادلهم الســجائر الشــحيحة.. وأخبره أحدهم، ببرود حازم هذه المرة أن هذا الأمر لا نفع فيه.. هناك عدد كبير من المجانين يتجولون في شوارع المدينة وقال رجل سمين وقصير لا يكف عن العبث بزناد البندقية.

- ليس من صالحيتنا أيقاف المجانين.

وشــعر (أبو كاظم) بانه موضع سخرية بينما يلزم زملاءه واجبات متتالية ثقيلة وحقيقة يطارد هو مجانين سائبين على أرصفة الطرقات.. وأخبره آخر.. يضع نقابًا اسود على وجهه

- نعم – شاهدت رجلا مخبول يقود أمرأة بملابس ممزقة.

- متى واين؟

- مــتى؟ لا أجابــة عــندي فلقــد توقفــت ساعتي عن العمل منذ أطلاق الرصاصة الاولى ولكن أين..نعم.. لقد خرجا من قمامة نفايات وعندما أقتربت مــنهما بحذر.. قال لي هذا المخبول.. بأنه دكتور جامعي رفيع المستوى وبعد ذلك..انطلقا بعيدا.

ان كلمـــة بعيدًا هي الكلمة المزعجة في أية مطاردة غير متكافئة، وغضب (أبــو كــاظم) وهو يأمر السائق بأن يشحت قليلا من (البانزين) وأنطلق رجاله الاربعــة بحــثا عــن المكــان المحتمل لأن يكونا فيه قاطعته أحدى الدوريات العســكرية وأكــدوا له أنــه يبحــث عبــثا.. فإن المجانين متشابهين..كما أن المجنون تماما مثل الكلاب السائبة تفرقها أصوات ا لطلقات وتجعلها تبتعد عن المــدن الآهلــة بالســكان. إلا أن حــدة الملاحظة جعلت (ابو كاظم) يعدل من وجهته..ويقلع عن البحث في الشوارع الضيقة والأقة الجانبية وفكر بالأنطلاق خلــف الــتلة الترابــية حيــث المساحات الشاسعة الدالة على معامل الطابوق والمقابر الاهلية الأرتجالية.

عــندما توغل الشرطي (أبو كاظم) بعيدًا تهزه سيارة (اللاندروفر) الثقلية وهــي تفشل في امتصاص المطبات الارضية والحفر والنفايات الصناعية وهو يتوغل في الشمال الشرقي لمدينة بغداد.. شاهد رتلاً من الجنود عائدين عرف مــن بينهم رجلا يمت له بصلة قرابه: رجلاً طويل القامة يابس العود له ملامح رجــل جنوبــي عنيد ولايضع بيرية نظامية على راسه بل ُخرقة بيضاء منقطة بالأحمر ونادى عليه (أبو كاظم) قائلا.. يا.. هو.. ولك

تعانقـــا بسرعة وضربا كتفا بكتف.. وأخبره (أبو كاظم) بمهمته البطولية الجديدة

- هؤلاء أذن هم مرضاكم.

أجابة (حسون) وهو يلف سيجارة ويضع دفترًا صغيرًا تحت أبطه.

- مرضانا.. بربك.. شنو قصدك!

وأشـــار (حســـون) إلى البعيد إلى تلة ترابية مصنوعة حديثا، تجللها من الخلـــف أشـــجار يا كالبتوس فتية، متفرقة دونما أنتظام، ولم يفهم (أبو كاظم) فطلـــب مـــن حســـون يركب معهم ففعل وعند مسافة غير بعيدة طلب حسون التوقف وهبط الرجال الآخرون يتقدمهم (أبو كاظم) بمشيته العسكرية.. وتشتم أنفه رائحة بارود ما زال حيا وشاهد (أبو كاظم) عددمن الجثث مطروحة أرضا كانـــت الشـــمس ترســـل نورًا محمرًا وخافتًا يضفي على المشهد تلوينًا مناسبًا لمشـــهد مصـــنوع جـــيدًا ومـــتعوب فيه كفاية.. جثث لأجساد هزيلة، بوجوه صـــفراء، كالحـــة ورؤوس محلوقـــة جيدًا.. لاتكاد أجسادهم تحقق هدفا صلبا لطمـــوح بندقية.. هبط (أبو كاظم) التلة الترابية من جانبها الآخر.. وهبط معه الجمـــيع، وســـرعان مـــا تعرف على جثة شرقية بالرغم من أنها منكفئة على وجههـــا ولاحراك فيها كانت مكشوفة الساقين حتى طية عجيزتها وفي مسافة أخـــرى إضـــافية سقط الدكتور سليمان وقد بدى وكأنه نائما فحسب.. وأخبره حسون قائلا:

- لا، لاتندهش لقد صنعوا منهم درعًا بشريًا

وشـــعر (ابـــو كاظم) بحيرة وأرتباك وقام برد ذيل دشداشتها عليها وهو يفكر هل ينبغي عليه أن ينقل جثتي الدكتور سليمان وشرقية.. حسب الأصول

ويعـــود بهـــم إلى المستشفى أم يدفنهم هنا ويعود ليخبر أدارة المستشفى عن الموقف. وأثناء تفكيرة أمر رجاله بأن يضعوا الجثث جانبًا ففعلوا ذلك بسرعة وغضب.. وخلال أقترابه من جثة الدكتور سليمان نظر إليه بتركيز شديد كانت كمـــية من الإطلاقات قد زرعت في جسده وتركت ثقوبًا حمراء واسعة.. وقال (أبو كاظم) بصوت مرتفع.

- سوف ندفن رفاقنا هنا!

وردد الجميع وراءه

- حاضر سيدي

وعـــندمها أنتبه الشرطي (ابو كاظم) إلى كف الدكتور سليمان وهي كانت تقبض على شيء ما بشدة فانحنى بخشوع ليرى ماذا هنالك.. ولم يجد صعوبة فـــي فـــتح كفه التي مازالت دافئة وعثر على علبة كبريت مدعوكة.. انتزعها بهـــدوء وانتصـــب واقفـــا وعـــندما فـــتحها عثر على خنفساء سوداء صغيرة ورائعة.. أبتسم (أبو كاظم) وعاد أقفال علبة الكبريت ووضعها في جيبه.. أمر رجالـــه بـــأن يـــؤدوا التحية العسكرية وأطلقوا الرصاص في الهواء.. وجذبوا معاول قصيرة وأخذوا يحفرون التراب بهمة وكانت الشمس قد أنسحبت بهدوء وجعلت الظلام يساهم في تعميق الحفر الترابية الهزيلة والضيقة.. عندها شعر (أبـــو كـــاظم) أن الخنفساء التي حصل عليها ليست من حقه وحرص أن يطلق ســـراحها وتـــركها تمشي على التراب.. تمشي ويتغذر رؤيتها في ذلك الجانب مـــن البعـــيد.. الذي قدر له أن يزرع جنونا آخر على أرض هذا الكوكب وقال (أبو كاظم) في نفسه

- لابد من العودة بسرعة

وسمع اطلاقات كثيرة وأصوات انفجارات عنيفة تصنع دويا من بعيد
وسمع هدير سيارة (اللاندروفر) وقال ل(حسون) بلهجة جنوبية
- اشو عدنا بانزين يكفي ياحسون
قال حسون
- لا أدري!

الجنون في اذار – اختراق الفحولة الشرقية

بقلم د. باهر بطي

الواقـــع أن عـــنوان هـــذه الدراسة يحتوي على أجزاء من الحقيقة، لكنه مســـتمد ممـــا يـــبدو أنـــه المحور المركزي للسرد الذي تتصارع فيه الفحولة الشـــرقية مـــع خنفساء. أما الحقيقة فهي أن عمل (جن وجنون وجريمة) هو أعـــتراض علـــى مهـــزلة العقـــل الاجتماعـــي، وتناقضه التكويني مع السمو الافتراضي للانسان الفرد. أنه افتراضي لأنه لا يحقق مطلق وجوده على أرض الواقـــع، والا يتجاوز المسافة بين الإمكان والاحتمال بالانقلاب إلى عالم الحلم، أو بالاعـــتزال. وقائع الرواية تختار الانقلاب، لذلك تشتغل على كشف تصارع الحلم الرغبوي مع قمعية الواقع، ودور التزييف الاجتماعي في سحق الفرد في مواجهـــة الاجتماع وسوقه الى الجنون. هذا العمل اختراق للفحولة بما تحمله الفحولـــة مـــن رمـــز للانســـحاق بالأنانية، ولأنها رمز الازدواجية الاجتماعية الشرقية كما تفضحها الرواية.

علـــى خـــلاف كـــتابات ميري السابقة فانه هذه المرة لا يشتغل للمصلحة المباشرة للهامشية، وانما يوظفها لنقد الاجتماع البشري بشكل هجومي. هناك مهاجمة عنيفة لمسؤولية المجتمع في تحويل العقل الى اداة قمعية، واعتراض فضـــائحي على تحويل المنطق الفيزيائي الى سلطة اجتماعية، وتحويل قوانين المـــادة الطبيعـــية، المحـــايدة تجاه تفرد الكائن الإنساني، إلى قوانين للمصالح الاجتماعـــية. ويتهم هذه التحويلات، بإسناد من شكسبير، بأنها تلبس من يقع فـــي دوامـــة قوة المصالح لبؤس الجنون، أو المرض الذهاني كما يقول الطب النفسي.

كمــا أن الــرواية لا تــدور فــي فلك العدم بل تحلم بمكان آخر يحيا فيه الإنســان بحرية، وتعمل على كشف روعة الوجود في كيان خنفساء. سيزيف كــان يحمــل العالم إلى الأعلى ثم يتدحرج الى الأسفل، أما الخنفساء السوداء فإنهــا تســتمر في محاولة الخروج من دورق زجاجي في حركة شفافة تبعث الحمــاس لــدى مــن يحــترم ميزات هذه الحشرة، ويمكن دائماً استبدال إناء زجاجي قابل للكسر بإناء آخر، وهكذا حتى اللانهاية.

(شــرقية) قــدرت مواهــب الخنفســاء فجعلــت مــنها هدية تقدمها إلى (د.سليمان)، وشاعت الأقدار

أن تقدمهــا إليه في شخاطة، مثل تلك الشخاطة التي أستخدمها في حرق جامعــته. ويــبرز ســؤال: هل الأقدار هي مصادفات لا معقولة يريد ميري أن يســتغلها (ليسخر الموتى من الأحياء قليلاً)، أم يتوجب علينا اكتشاف معقولية مــا جعلت حياة د. سليمان الميتة تحيا من جديد من خلال لا أهمية الخنفساء. مــيري يقودنــا في دهاليز الرواية من منطقة تساوي الوجود والعدم، بسبب لا حقيقــية الموجــود الاجتماعــي، إلى أكتشاف السعادة في منطقة ما بعد العدم، منطقة الحقيقة وحيث تكون علاقات الأنا – الآخر أكثر حرية وأنسانية. يتوصل خضــير ميري عبر أبطاله إلى أنجاز أجابته اخيراً عن السؤال الفلسفي الاول: لماذا أنا؟.

ليس من واجب هذه الدراسة التدخل في النقد الأدبي للرواية، ولكن لا بد من الاشارة إلى بعض النقاط، لاكتشاف علاقات البناء اللغوي بالاجواء المعرفية التي تحلق فيها الرواية. المحور المركزي للسرد لا يدور تحديدًا حول علاقة د. سليمان بشرقية فقط، فهناك محور سيميولوجي داخل المحور

المركزي وهو الخنفساء وانتقالها من شرقية الى د. سليمان لتنعكس (الشخاطة) من اداة الحرق إلى أداة الهدية، ومن ثم إلى اشارة لقدرة اللاأهمية على استعادة الحياة في (مكان آخر).

علـــى أيـــة حال، تنتمي الرواية إلى صنف الروايات (البولوفونية). هناك عـــدد مـــن المحـــاور الســـردية بقـــدر عدد شخوص الرواية، ولكل من هذه الشـــخوص إيقاع خاص لسرد خيط من النسيج المعرفي للرواية. كما ترسم كل شخصـــية جانبًا من اللوحة الكليانية لوجود العالم، وهذا يشمل الغراب الخبيث والجـــرذ العجـــول. تعـــتمد الـــرواية أســـلوب أقرب للتصويرية الشعرية من القصصـــية، وتـــتحول القـــراءة إلـــى عملـــية تجميع لقطع اللغز الكلياني. كل شخصـــية، فـــي مرحلة ما من وجودها على أحد جانبي سور الردهة، ستعود بفـــلاش بـــاك (لقطـــة إســـترجاعية) إلى جذور انفصامها عن الواقع و لحظة توحدها مع حلمها، بما في ذلك (الحلم الكحولي).

اســـتخدم مـــيري لغة الأحلام، أي الترميز والتكثيف والتحويل في روايته بطريقة معاكسة. فقد استخدم لغة فاضحة في إشاراتها الجنسية، بينما كان يبث خطاب الاختراق والتبشير في أرجاء الرواية بالرموز والصور، ويترك القارىء في النهاية مع كلمة (لا ادري).

علـــى الجانب المعرفي تسبر الرواية أغوار مجاهيل العقل لاكتشاف منطق آخـــر غـــير المنطق النمطي للعقل الاجتماعي. وتستخدم الرواية لهذا الغرض شـــبكة من التقاطعات المنسوجة من تناقضات العلاقات الاجتماعية والنفسانية. كمـــا تعمـــد إلـــى كشف الزوايا المسكوت عنها، ويكشف ازدواجيات المجتمع ودورها في توليد الشاذ والمنحرف.

تتناول حلقات السرد، في دوائر متصاعدة بإتجاه ذروة الانفجار التمردي، نمـــاذج الانســـحاق الاجتماعي، الشرقي بالذات، ومسيرة تحولاتها. فكل من د. ســـليمان، شـــرقية، فاتـــن، زينب، حامد، مروا خلال مراحل تكوناتهم النفسية بمتناقضـــات الزيف والازدواجية (قصة شرقية مع زوجة الاب، قصة فاتن مع الصـــديقة الأرســـتقراطية). ولمـــا لـــم يعد بامكانهم مقاومة هذه المتناقضات انحـــازوا، وبدون أن تكون ممكنات الاختيار متاحة لهم أصلاً، إلى الانتقال من عـــالم الواقع إلى عالم الأحلام. وتطرح نماذج المضمد عفتان وأم حسّان، شكلاً آخـــر من الأنفصام الاجتماعي. عفتان هو رمز الفحولة الشرقية التي لا تعرف معـــنى للجـــنس غـــير الجنس الحيواني، فيمارس المجتمع الوأد الخفي أو قتل الأنغـــال لأن المهـــم هـــو أخفاء الخطايا، وكما تقتل أم حسّان في أحتفال غسل العار.

عـــندما لا يعود (د. سليمان) قادرًا على احتمال زيف أكاديميته فأنه ينهي تناقضـــه بعمل تدميري ليحط في المصحة بانتظار اللا شيء. وتظهر معاناة (د. ســـليمان) مـــع الزيف في علاقته مع أبنه، البطل الاجتماعي الذي قطع علاقته بـــالأب، ولـــيقرر مرة أخرى أن لا ضرورة للوجود في الواقع لما لا يوجد في الحقـــيقة، أوكمـــا يقـــول: إذا كانـــت الحقيقة لا معنى لها فما الفائدة. الانتقالة المعكوســـة(للدكـــتور سليمان) بإتجاه إستعادة رغبته في الحياة تأتى من خلال نفـــس الاشـــارة (الشخاطة) التي أنهى بها حياته الأولى. هدية(شرقية) جعلته يكتشـــف إمكان اللا أهمية في اضفاء قدر من الرومانسية والعدالة على الحياة (سيكون ثمة رؤية أوسع للأشياء وهذا يعني عدالة) ، كما أحيت فيه الأمل بأن تكـــون هـــناك حياة أخرى في مكان آخر. كان لا بد للحب أن يشعل فيه جذوة الحـــياة، كمـــا أعطـــى شرقية معنى للجنس، فهي تكتشف في رغبتها به بأنها

ترغب في الحياة أكثر، عندما تحس معه ولأول مرة في حياتها، بأن جسدها لم يعد مبذولاً.

المنســحقون فــي رواية ميري يعودون ابطالاً إلى الحياة بوعي وبصيرة أعمــق مما كانوا عليه قبل أنهياراتهم ووصولهم إلى المصحة. فاتن تستبصر تاريخها فتعي أن اسرافها في الخيال لم يتح لها متسعًا من الحياة داخل الواقع. شــرقية تريد حياتًا غير مسممة بالآخرين الذين أبتذولها، أنها تبحث عن حياة جديــدة مع آخر تستطيع أن تحبه وأن يحب هو ذاتها، وتجده في (د. سليمان) أما هو(د. سليمان) الذي كان أسير عجزه وأنهياره فقد كان لا بد أن يستكشف طريقته إلى بناء ذات مركزية. لقد أكتشف أن الذات المركزية تؤخذ ولا يوهبها أحــد، وبــالذات المجتمع الذي يحول الانسان إلى دمية قابلة للتركيب والتفكيك ويمكــن إن تكــون أي شــيئ الا ذاته هو. أكتشف ذلك بعد أقتحام (د.أرسلان) لحــياته، وتهديــم الكــيان الرومانســي الذي كان مريضه (د.سليمان) يحاول تأسيســه علــى وجود الخنفساء. تلك كانت اللحظة الحاسمة التي أدت به إلى أكتشــاف الطــريق إلــى تحديــد هويته الذاتية واستعادة مركزيتها واكتساب مشــروعيتها بالأبداع (كل ما يتوصل أليه الأبداع فهو شرعي)، حينها قرر أنه يرغب في حياة جديدة مع شرقية، ورسما خطة الهروب.

فــي مواجهــة استبصارات شخوص المصحة، يستخدم الأطباء النفسيين سلاح العلم لعلاج هؤلاء المرضى. ولأن العلم سلاح أصم، لا يفهم(د. أرسلان) أي معــنى للخنفســاء في دورقها الزجاجي ، فيدفعه حرصه العلمي إلى كسر الــدورق ويدفع معه مريضه (د. سليمان) إلى أنهيار جديد. مرة أخرى تتصادم الحقــيقة مــع الكــيان الاجتماعي للأكاديمية، ويتذكر(د. سليمان) صدامه مع النمطية الساحقة للهيكل الأكاديمي. ويظهر د. مشتاق ليقترح طريقة اخرى في

تعـــريف المرضى وفق بنائهم الإنساني وليس مكانهم من القاموس الطبي. أن الجنون ليس دائمًا شيئا هناك عند الأخرين المرضى، وأنما هوعلاقات يجب أن يعايشـــها الأطـــباء بين (الأنا) لديهم و(الأنا) لدى الآخر المريض. ما لم تتحقق هـــذه العلاقة التعايشية فأن أسلحتنا الفكرية ستكون فاسدة وستؤدي إلى نتائج ســـيئة. المنظور الإنساني للمرض النفسي يمكن الطبيب النفسي من فهم وتقبل أن لا مستحيل هناك على الاطلاق، كما يقول(د. مشتاق)

لمـــاذا أخـــتار خضـــير مـــيري أحـــداث آذار عام ١٩٩١في العراق زمناً لروايـــته؟ ربمـــا تكـــون لا معقولـــية تلك الأحداث اجواءً مشروعة لانتقالات شـــخوص الرواية بين تضادات المعقول واللامعقول. أجواء تلك الاحداث تبرز الجانـــب الغربـــي من العقل الاجتماعي، والذي كان يزرع جنوناً من نوع آخر. الـــنهاية الـــتافهة(لشـــرقية) و(د. سليمان)كقتلى مكدسين في كوم من الدروع البشـــرية فـــي حـــرب لم يحترم اطرافها حرية الانسان، تشيرإلى أقسى أشكال أغتصـــاب الإنســـانية باستخدام الدروع البشرية في صراع المصالح. هل تكمن الســـعادة فـــي اختراق اللامعقولية الفردية للامعقولية الجمعية لأنجاز الاكتمال الإنســـاني؟ لا ندري، كما يعود ميري الى كلمة: لا آدري، عندما يكون السؤال: هل سنكمل الطريق؟.

بغداد حزيران ٢٠٠٥

إصــدارات

نفرو للنشر والتوزيع

كتب وقضايا :

اللوبى الإسرائيى فى أمريكا .... ترجمة / مدحت طه

سيميوطيقا التشبيه .... د. / محمد فكرى الجزار

انا نجيب محفوظ (سيرة حياة كاملة) .... إبراهيم عبد العزيز

موسوعة البحر الأحمر (الجزء الأول) (الفردقة رأس غارب) .. محمد رفيع محمد

قراء القرآن ونوادرهم.. حزين عمر

غرفة السر .... محمد الحسينى

حسن نصر الله (بطل قومى فى زمن الأقزام)............................... حزين عمر

دراما اللوحة .... أ.د. / مصطفى يحيى

الشعر :

ظل عاصفة .... وجدان عياش

جداريات .... ماهر المنشاوى

انكسار الجغرافيا .... كمال عبد الرحيم

لماذا أحبك حتى البكاء.. فكرية غانم

ونس... محمد الحسينى

كعب عالى .... ناهد السيد
صندوق الحزن .... محمد الحسينى
كفى مليان حبر .... ليلى السيد
عباد الضل .... محمد الحسينى
روح الشاعرة .... ظبية خميس
مسك الختام .... محمد عبد الرازق زهيرى
مس الكلام .... محمد الحسينى

القصص :

الحب على الطريقة الألمانية .... ترجمة / خالد عباس
البريونى يتجه شرقاً .... سعيد رفيع
العودة إلى جوبال .... سعيد رفيع
حروف متشابكة .... حياة الحضرى
لينا والبرتقال .... سليمان نزال
رائحة المطر .... منى سعيد
يوحنا الأمريكى يبشر فى الحانة .... عبد العال الحمامصى

الرواية :

جن وجنون وجريمة .... خضير ميرى

على المنحدر (ترجمة / د. سلمى صالح)................................ ماركوس فيرنر

طفل الفجر (ترجمة ظبية خميس) .... جوتاما شوبا

صاحب القلنسوة .... حياة الحضرى

عبر الليل نحو النهار .... محمد الراوى

الفضيحة الإيطالية .... محمد بركه

الأميرة ذات الهمة (٤ أجزاء) .... عبد الله السيد

باب البحر.. عبد الله السيد

العصف .... حياة الحضرى

المسرح :

العبد (ترجمة د. محسن عباس) .... أميرى بركة

الملاح الطائر (ترجمة د. محسن عباس) .... أميرى بركة

حورى .... محمد الحسينى

دماء على حائط المبكى .... فتحى عبد الغنى